

# الدليل

في معرفة المسائل الخلافية

المؤتمر العالمي للمستبصرین

Shirnameh	میرسجادی، سیدمرتضی، ۱۳۴۵ -
عنوان و نام پدیدآور	الدلائل فی معرفة المسائل الخلافیة / السیدمرتضی میرسجادی.
مشخصات نشر	قم: محلاتی، ۱۴۴۱ هـ / ۱۳۹۹ق.
مشخصات ظاهری	۱۱×۱۷ س.م.؛ ۲۸۰ ص.
شابک	۹۷۸-۶۲۲-۹۶۸۴۶۲-۷
وضعیت فهرست نویسی	فیبا
یادداشت	عربی.
یادداشت	کتابنامه به صورت زیرنویس.
موضوع	اسلام -- مطالب گونه‌گون
موضوع	Islam -- Miscellanea
رده بندی کنگره	۱۱BP
رده بندی دیوی	۲۹۷/.۰۲
شماره کتابشناسی ملی	۶۲۱۷۶۷۵



الكتاب: الدلائل في معرفة المسائل الخلافية

المؤلف: المركز العالمي للمستبصرين

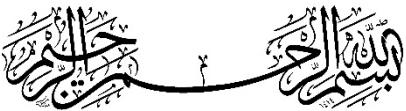
الناشر: محلاقي / المطبعة: اصيل

الإخراج الفني: كومبيوتر المجتبي عليه ۱۶۲ - ۳۷۸۳۰

الكمية: ۲۰۰ نسخة / الحجم: جيبي

الطبعة: الأولى ۱۳۹۹ هـ . ش - ۱۴۴۱ هـ

الشابک: ۹۷۸-۶۲۲-۹۶۸۴۶-۷



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين سيميا بقية الله في الأرضين.  
إنّ من الممارسات والأنشطة الدينية السيئة من قبل فئات من المسلمين هو تناول المخالفين لهم بالتشكيك وإثارة الشبهات وتراكم الأسئلة حولهم في المجتمع الإسلامي؛ لضعف الإيمان في النفوس، ونشر بذر التفرقة بين المسلمين، بُغية الصدّ من انتشار الحقائق وما يدلّ على الصواب من العقيدة والفكر؛ ساعين إلى إلقاء

كُلَّ مَا يمْكِنُهُمْ مِنْ بُثٍ التَّرْدِيدِ فِيمَا يطْرُحُهُ عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ  
وَالْمُحَقِّقُونَ.

وهناك من المسلمين من هو طالب حَقٌّ يأمل في الوصول إلى الحقيقة والواقع في معرفة المسائل الدينية، بأن يدرسها دراسة علمية موضوعية ليميز بها الصحيح عن السقيم، وذلك من خلال ملاحظة الأدلة التشريعية للاهتداء إلى نتائج هامة والوصول إلى الواقع وتصحيح المخزون الفكري الباطل لديه من خلال ما حصل له من خبرة في هذا المجال.

ولَا شَكَّ أَنَّ كِتَابَ الدَّلَائِلِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْمَسَائلِ الْخَلَافِيَّةِ  
مِنَ الْكُتُبِ الْمُعَدَّةِ لِهَذَا الْغَرْضِ، وَفِيهِ الإِجَابَةُ عَنِ  
الْتَسْأُلَاتِ وَالشَّبَهَاتِ الَّتِي يُثِيرُهَا السَّلْفِيَّةُ وَالْجَهْلَةُ فِي  
قِبَالِ مَا دَلَّ عَلَى الصَّوَابِ مِنِ الْعِقِيدَةِ وَالْإِيمَانِ الصَّادِقِ  
وَالْعَمَلِ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِسُنْنَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدَ<sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup>،  
وَالْدُّعَوةُ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنْ الْهُدَى إِلَى الثَّقَلَيْنِ الَّذِينَ أَمْرَ

رسول الله ﷺ بالتمسّك بهما، وهما لا يفتران أبداً .  
والجدير بالذكر هنا أن نتوه بآن مرکز المستبصرين هو  
أحد المراكز التابعة لمؤسسة الإمام الهادي علیه السلام ذات  
النشاطات الواسعة، سواء العلمية منها أو الخدمية، وقد  
حمل على عاتقه الاهتمام بأمور المستبصرين وخصوصاً ما  
يرتبط بالمجال العلمي والثقافي .  
وفي الختام نسأل العلي القدير التوفيق لجميع ما يرضاه  
وأن يتقبل هذه البضاعة المرجحة بقبوله الحسن إنّه سميع  
الدعاء .

مرکز المستبصرين  
 التابع لمؤسسة الإمام الهادي علیه السلام



الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآلـه الطاـهـرـين المعصـومـين ولعنة الله على أعدائهم أجمعـين.

إنـ جـمـيـعـ الـأـدـيـانـ السـمـاـوـيـةـ مـتـفـقـةـ عـلـىـ التـوـحـيدـ،ـ قـالـ اللهـ تـعـالـىـ:ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحـيـ إِلَيْهـ أَنَّهـ لـآ إِلـهـ إِلـآـ أـنـاـ فـاعـبـدـوـنـ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر سبحانه في وصف الأنبياء وأتباعهم أنـهـ كانوا مسلمـينـ،ـ قـالـ اللهـ تـعـالـىـ حـكاـيـةـ عـنـ نـوـحـ عـلـىـهـ السـلـيـلـ:ـ ﴿وَأَمْرـتـ أـنـ أـكـونـ مـنـ الـمـسـلـمـيـنـ﴾<sup>(٢)</sup>ـ،ـ وـأـمـاـ اـبـرـاهـيـمـ عـلـىـهـ السـلـيـلـ:ـ ﴿وَإِذْرـفـ فـعـ إـبـرـاهـيـمـ

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٥.

(٢) سورة يومنـ: ٧٢.

الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبِّنَا أَنْقَبَ لِمِنَ إِذْنِكَ أَنْتَ السَّمِيعُ  
 الْعَلِيهِ، وَإِذْرِقْنِي إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبِّنَا  
 أَنْقَبَ لِمِنَ إِذْنِكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيهِ<sup>(١)</sup>، وَأَمَّا يَعْقُوبُ عَلَيْهِ  
 ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ  
 فَلَا تَمُوْتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وَأَمَّا مُوسَى عَلَيْهِ  
 قَالَ: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا أَقْوَمَ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ وَقَوْكَلُوا إِنْ كُنْتُمْ  
 مُسْلِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وَأَمَّا عِيسَى عَلَيْهِ  
 الْكُفَّارُ قَالُوا مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِذُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا  
 بِاللَّهِ وَأَسْهَدْنَا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ<sup>(٤)</sup>، وَأَمَّا سَلِيمَانَ عَلَيْهِ  
 سُلْطَانًا وَإِذْهَبْتُ بِسَمِّ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَا تَعْلَمُ أَنَّهُ مَنْ

(١) سورة البقرة: ١٢٧-١٢٨.

(٢) سورة البقرة: ١٣٢.

(٣) سورة يوئيل: ٨٤.

(٤) سورة آل عمران: ٥٢.

مُسْلِمِينَ<sup>(١)</sup>، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلِيْسَ الْمُرْسَلُوْمُوْمَا  
أَخْتَلَفَ الَّذِينَ أُولُو الْكِتَابَ إِلَّا مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمْ أَعْلَمُ بِغَيْرِهِمْ  
وَمَنْ يَكْفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ  
أَسَأَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُولُو الْكِتَابِ وَالْأُمَمِ  
أَسَأَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُولُو الْكِتَابِ وَالْأُمَمِ  
بَصِيرُ بِالْعِبَادِ<sup>(٢)</sup>، وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ  
الْإِسْلَامِ دِيْنًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ<sup>(٣)</sup> .

فالأصل الدين عند الله هو الاعتقاد بالتوحيد والرسالة  
والمعاد. فجميع الأنبياء وأتباعهم يشترون في الإيمان الجامع  
بالله، ورسله، واليوم الآخر، وملائكته، وكتبه، غير أنّ  
شرائع الأنبياء متعددة.

---

(١) سورة النمل: ٣٠ - ٣١.

(٢) سورة آل عمران: ١٩ - ٢٠.

(٣) سورة آل عمران: ٨٥.

والكل متفقون على عبادة الله. قال الله تعالى: ﴿فَلْ لَا أَمْلِكُ  
لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup> أي لا أملك جلب نفع  
ولا دفع ضرر بالاستقلال. وهذا هو إظهار للعبودية.

#### معنى العبادة :

العبادة عبارة عن: الخضوع والتذلل القلبي والعملي واللفظي بقصد التعبّد لله سبحانه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمْرُوا  
إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُتَّقَاءَ وَيُقَيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ  
الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾<sup>(٢)</sup>. هذه ضابطة كلية بينها القرآن الكريم، أي أن العبادة مختصة بالله سبحانه، ولا يصح إصدار هوية إسلامية لشخص إلا بعد الاعتراف بهذه الكبري، وكل مسلم في شرق الأرض وغربها يختص العبادة والاستعانة بالله سبحانه في كل يوم في صلواته الخمسة

(١) سورة الأعراف: ١٨٨.

(٢) سورة البينة: ٥.

فيقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(١)</sup>.

وأيضاً لا تتحقق العبادة إلا بالقصد، فإن السجود الذي هو إظهار نهاية التذلل، لا يكون عبادة إلا مع قصد العبادة، كما أن القرآن الكريم يبيّن هذه الحقيقة بشكل واضح وذلك في قصة يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوئِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا...﴾<sup>(٢)</sup>. فإن سجدة إخوة يوسف وأبويه له، لم تكن بقصد العبادة له؛ وإنما كانت من أجل التعظيم والاحترام له، وكذلك سجود الملائكة لآدم عليه السلام كان لأمر الله تعالى، فلم يكن عبادة لآدم عليه السلام وإنما سجدوا له تحية وتكريماً. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ...﴾<sup>(٣)</sup>.

---

(١) سورة الفاتحة: ٥.

(٢) سورة يوسف: ١٠٠.

(٣) سورة البقرة: ٣٤.

ولو كان عبادة فكيف يأمر الله تعالى بعبادة غيره، مع أنَّ  
الله نهى عنها بتاتاً في جميع الشرائع من لدن آدم عليه السلام إلى  
الخاتم عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ  
رَسُولٍ إِلَّا فُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(١)</sup>، وقال  
تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا  
الظَّاغُوتَ﴾<sup>(٢)</sup>!.

وفي موضع آخر من الكتاب اعتبر سبحانه التوحيد في  
ال العبادة أصلاً مشتركاً بين جميع الشرائع السماوية، ومن هذا  
المنطلق قال سبحانه: ﴿فُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمةٍ سَوَاءٍ  
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا شُرِكَ لَيْهُ شَيْئاً﴾<sup>(٣)</sup>. وإلى غير  
ذلك من الآيات التي فيها التصرير والدعوة إلى عبادة الله

(١) سورة الأنبياء: ٢٥.

(٢) سورة التحل: ٣٦.

(٣) سورة آل عمران: ٦٤.

سبحانه والنهي عن عبادة غيره، وهذا أصل مشترك بين جميع الأنبياء عليهم السلام.

إذن ليست العبادة هي نفس الخضوع أو شدّته، فحتى السجود الذي هو إظهار نهاية التذلل، لا يساوي العبادة ولا يعدّ بنفسه مجرّداً عبادة، فخضوع الولد أمام والده، والتلميذ أمام أستاذه، والجندي أمام قائدته، ليس عبادة لهم وإن بالغوا في الخضوع والتذلل. حتّى إن قام الولد بتقبيل قدم والديه، فلا يعدّ عمله عبادة، لأنّ العبادة تحتاج إلى ضمّ القصد والنية، وبذلك تنفصل العبادة عن الخضوع والاحترام المجرّد؛ ولذلك فضل سبحانه وتعالى بين الأمرين في قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾<sup>(١)</sup>. فإنّ الإحسان بالوالدين على نحو العموم والإطلاق يشمل جميع مراتب الآداب والخضوع والاحترام

---

(١) سورة الإسراء: ٢٣.

لهم كما قال تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الْذُلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ...﴾<sup>(١)</sup>. وأقصى مراتب الذل بلا قصد العبادة لا يكون عبادة، حيث إن البر بالوالدين والإحسان إليهما من أعظم الأعمال وأحبيها إلى الله سبحانه، كما ذكر سبحانه الإحسان إلى الوالدين بعد العبادة له، فلو كان الذل أمام الوالدين يعده عبادة لنها عنه سبحانه.

### الفرق بين العبادة والطاعة:

قال ابن تيمية: «العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنية والظاهرية كالصلاه والزكاة والصيام، والحجّ، وصدق الحديث وأداء الأمانة، وبر الوالدين وصلة الأرحام»<sup>(٢)</sup>.

وفي الحقيقة إن لم يفرق بين العبادة والطاعة، وتصور أن

(١) سورة الإسراء: ٢٤.

(٢) كتاب العبودية لابن تيمية: ص ٣٨.

كل طاعة وعمل يوجب التقرّب، فهو عبادة لله تعالى، في حين أنّ الأمر ليس كذلك، إذ هناك أمور توجب رضا الله، وتستوجب ثوابه لكنّها لا تكون عبادة، كالإحسان إلى الوالدين، وإعطاء المال في سبيل الله، وإصلاح أمور الناس وغيرها مما توجب القرب إلى الله ولا تكون عبادة.

نعم قد يكون العمل القريبي عبادة كالصوم والصلوة والحجّ وأمثال ذلك؛ فيجب الإتيان به بقصد العبادة، فترتّب الثواب على العمل الذي يعدّ طاعة لله سبحانه أعمّ من العبادة وغيرها.

وبعبارة أخرى: إنّ الإتيان بالأعمال التي تستوجب رضا الله، يعدّ طاعة لله ولكن ليست كل طاعة عبادة.

وإن شئت قلت: إنّ هناك أموراً عباديّة وأموراً قُربائيّة، فكلّ عبادة مقرّبة، وليس كلّ مقرّب عبادة، فدعوة الفقير إلى الطعام، والعطف على اليتيم - مثلاً - توجب القرب ولكنّها ليست عبادة بمعنى أن يكون الآتي بها عابداً بعمله لله تعالى.

وبالرغم من وضوح هذا الأمر ييدو أنه قد خفي على ابن تيمية فسعى لنشر أفكاره المنشقة من تلك الزلة بين طلابه من أمثال (ابن القيم)، مما مهد الأرضية للانتهازيين والجهلة الذين جاؤوا بعدهم كمحمد بن عبد الوهاب ومن ركب أمواج زيفهم، وهم يسعون دائمًا من خلال نشر آرائهم اتهام المسلمين بالكفر والشرك.

## زيارة القبور

إنّ أصل زيارة أهل القبور من المؤمنين مستحبة عند علماء الإسلام وأكثر فقهاء مذاهب أهل السنة؛ لأنّها من السنن المأثورة. على أنّ الغرض من زيارة القبور هوأخذ العبرة، واستذكار الآخرة، وعدم التعلق بالدنيا، والدعاء للأموات، وقراءة القرآن بجوار قبورهم.

نذكر أدلة استحباب زيارة القبور، كما يلي:

### أولاً : القرآن الكريم

إنّ أصل مشروعية زيارة القبور إنّما هو استمرار لما كانت عليه الشرائع السابقة، وخير دليل على ذلك - وهو الأسبق تارياً - ما ذكره القرآن الكريم في شأن أصحاب الكهف، ونزاع القوم فيهم بعد أن أماتهم الله سبحانه وتعالى، إذ يقول تعالى: ﴿إِذْ يَتَمَّارُونَ بِيَتْهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا إِنَّمَا وَاعْدَانِهِمْ بُشَّرٌ إِنَّا رَبُّهُمْ مَنْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ

لَتَتَّخِذَنَ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً<sup>(١)</sup>.

فُيُسْتَدِلُّ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ مَرَاقدَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ أَصْبَحَتْ مَزَارًا لِلْمُوْحَدِينَ، وَذَلِكَ بَعْدَ إِقَامَةِ الْمَسْجِدِ عَلَيْهَا حِيثُ كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَأْتُونَهُ وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ عِنْدَ قَبُورِهِمْ، وَلَوْ كَانَ هَذَا الْعَمَلُ شَرًّا كَبِيرًا لَمْ يَكُنْ لَهُ لَا سَنَكَرَهُ اللَّهُ سَبَحَانَهُ وَنَبَّى عَنْهُ، وَحِيثُ مَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى بَنَاءَ الْمَسْجِدِ عَلَى الْقَبُورِ وَأَيَّدَ عَمَلَهُمُ الَّذِي أَرَادُوا بِهِ التَّقْرِبَ إِلَى اللَّهِ بِوَسِيلَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، فَذَلِكَ دَلِيلٌ وَحْجَةٌ عَلَى اسْتِحْبَابِ أَصْلِ زِيَارَةِ الْقَبُورِ. وَالشَّاهِدُ عَلَى ذَلِكَ تَعْبِيرُهُ سَبَحَانَهُ تَعَالَى بِالْمَسْجِدِ بَدْلًا عَنْ ذَكْرِ الْمَعْبُودِ الَّذِي كَانَ مَتَّعَرِفًا فِي تِلْكَ الْأَزْمَانِ، فَالْتَّعْبِيرُ بِالْمَسْجِدِ دُونَ الْمَعْبُودِ إِشَارةٌ إِلَى أَنَّ الْبَنَاءَ عَلَى ذَلِكَ الْكَهْفِ كَانَ لِأَجْلِ عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ بِاعتِبَارِ أَنَّ الْمَسْجِدَ فِي عَرْفِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هُوَ الْمَحَلُّ الْمُتَّخِذُ مَوْضِعًا لِلْعِبَادَةِ وَالسُّجُودِ لِلَّهِ سَبَحَانَهُ وَهُوَ

---

(١) سورة الكهف: ٢١.

المكان الذي يعبد الناس فيه، وعلى هذا فقد روى المفسرون أنّ اقتراح تأسيس المعبد على أصحاب الكهف كان من المشركين، والإشارة إلى اتخاذ المسجد كان من المؤمنين، وهذا هو الظاهر مما رواه ابن جرير الطبرى وغيره من المفسّرين في تفسير الآية الكريمة.

ثم إنّ سياق قول الموحّدين في المقام يفيد المدح، بدليل المقابلة بينه وبين قول المشركين المحفوف بالتشكيك، حيث إنّ مراد المؤمنين ليس مجرّد البناء على الكهف، بل المطلوب إنّما هو المسجد الذي هو موضع للعبادة. وهذا دليل قرآنٍ على أهميّة احترام مرافق الأولياء وتعاونها بالزيارة، ناهيك عن اتخاذها مسجداً أو إقامة الصلاة والدعاء عندها والتقرّب بها إلى الله.

وأيضاً من الكتاب الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَمِّلْ عَلَى أَحَدٍ﴾

مُنْهَمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَفْعَلْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا قَوْا  
وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١﴾ .

هذه الآية نهت عن الصلاة والقيام على قبر المنافق، ومفهومها مطلوبية هذين الأمرين بالنسبة لغيره - أي للمؤمن.

فتدل الآية بمفهوم المخالففة على جواز زيارة قبر من مات على الإسلام، وأن ذلك كان معهوداً بين المسلمين، والآية إنما نزلت لتنشئي الكفار والمنافقين، كما يظهر ذلك بوضوح من خلال ملاحظة ذيل الآية الشريفة حيث جاء فيها التعليل وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا قَوْا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ . ومعناه أن عدم الجواز معلل بالكفر والشرك، وبمفهوم المخالففة يثبت الجواز<sup>(٢)</sup>.

---

(١) سورة التوبة: ٨٤.

(٢) إن مفهوم المخالففة من أساليب الإيجاز والاختصار في التعبير يجمع بين





مؤدّى جملتين مختلفتين في الإثبات والنفي ولذلك سُمي بمفهوم المخالفة، فمثلاً لو قلت: «صلٌّ في أرض مباحة»؛ فهنا نستفيد منع جواز الصلاة في الأرض المباحة.

وإذا قلت: «لا تصلٌّ في أرض مغصوبة»؛ فنستفيد عدم الجواز والمنع من الصلاة في الأرض المغصوبة.

فكلّ جملة حكمها يختلف عن حكم الأخرى في الإيجاب والسلب والإثبات والنفي، وهذا النوع من التعبير يسمّى بـ(الإطاب) في أسلوب البلاغة الذي يقابله أسلوب الإيجاز وهو أن تختصر الجملتين في جملة واحدة تعطينا الحكمين المترافقين بتعبير واحد. مثاله: «لا تكرم إلا الطالب العدول» ومعناه أن إكرام الطالب العدول مباح وجائز وإكرام غير العدول محظوظ وممنوع. فالإيجاز مستفاد من استعمال الأداتين (لا) النافية و(إلا) الاستثنائية.

فعليه يكون مفهوم المخالفة: ما كان الحكم فيه مخالفًا لطبيعة الحكم الموجود في المنطوق من حيث السلب والإيجاب أي إذا كان المنطوق إيجاباً كان المفهوم سلباً وإذا كان المنطوق سلباً كان المفهوم إيجاباً.

وبه يفهم مراد الله ومراد رسوله ﷺ ومراد أئمة أهل البيت ع.

ولذا سُمي مفهوم المخالفة؛ لأنَّ الحُكْم الذي يثبت للمسكوت نقيسُ



وتقريب الاستدلال بالأية الشريفة على أصل مشروعية زiarat al-qubur يتم بيان أن منطوق الآية يدل على تحريم الصلاة على الكافر والوقوف على قبره، ومفهوم الآية على مشروعية الصلاة على قبر المؤمن والوقوف عليه.

فإن لفظة «أحد» بحكم ورودها في سياق النفي تفيد العموم والاستغراق لجميع الأفراد، ولفظة «أبداً» تفيد الاستغراق الزمني، فيكون معناها: لا تُصلّى على أحدٍ من المنافقين في أي وقت كان.

فمع الالتفات إلى هذين اللفظين نعرف - بوضوح - أن المراد من النهي عن الصلاة على الميت المنافق ليس خصوص الصلاة على الميت عند الدفن فقط، لأنها ليست قابلة للتكرار في أزمنة متعددة، ولو أريد ذلك لم تكن هناك حاجة



للحكم المنطوق به، ومختلف عنه.

إلى لفظة «أبداً»؛ بل المراد من الصلاة في الآية مطلق الدعاء والترحّم سواء كان عند الدفن أم بعده.  
فإن قال قائل: إن لفظة «أبداً» تأكيد للاستغراق الأفرادي لا الزماني.

فالجواب بوجهين:  
الأول: إن لفظة «أحدٍ» قد أفادت الاستغراق والشمول لجميع المنافقين.

والثاني: إن لفظة «أبداً» تُستعمل في اللغة العربية للاستغراق الزماني، كما في قوله تعالى: ﴿...وَلَا أَنْنَكِحُوهُ أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا...﴾<sup>(١)</sup>.

فالنتيجة: أن المقصود هو النهي عن الترحّم على المنافق وعن الاستغفار له، سواء كان بالصلاحة عليه أو بغيرها، وسواء كان حين الدفن أم بعده.

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٣

الثانية: ﴿لَا تَقْرُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ فإنّ مفهوم هذه الجملة - مع الانتباه إلى أنّها معطوفة على الجملة السابقة - هو: لا تقم على قبر أحدٍ منهم أبداً؛ لأنّ كُلّ ما ثبت للمعطوف عليه من القيد - أعني «أبداً» - يثبت للمعطوف أيضاً، ففي هذه الحالة لا يمكن القول بأنّ المقصود من القيام على القبر هو وقت الدفن فقط؛ لأنّ المفروض عدم إمكان تكرار القيام على القبر وقت الدفن، ولفظة «أبداً» المقدّرة في هذه الجملة الثانية تغيد إمكانية تكرار هذا العمل بعد الدفن، فهذا يدلّ على أنّ القيام على القبر لا يختصّ بوقت الدفن، بل يعمّه وغيره، فهو حرام في حقّ المنافق وجائزي في حقّ المؤمن.

فيكون معنى الآية الكريمة: أنّ الله تعالى ينهى نبيه ﷺ عن مطلق الاستغفار والترحّم على المنافق، سواء كان بالصلاحة أم مطلق الدعاء، وينهى عن مطلق القيام على القبر، سواء كان عند الدفن أم بعده.

ومفهوم ذلك هو: أن هذين الأمرين يجوزان للمؤمن ويسْتَحِبُّان له.

وبهذا ثبت أن زياراة قبر المؤمن، والصلوة والدعاء على روحه حتّى بعد مئات السنين أمر مشروع ومستحبّ.

ثم إنّه من خلال التتبع في كتب التفسير نجد أنّ كثيراً من المفسّرين من أهل السنة قد فسّروا الآية بالأعمّ من وقت الدفن وغيره، ومنهم: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقيّ، الملقب بسلطان العلماء المتوفّ سنة (٦٦٠هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا نُنْصُلُ...﴾ أي لا تصلّ على أحد ولا تقام على قبره قيام زائر، أو مستغفر<sup>(١)</sup>.

---

(١) تفسير القرآن لسلطان العلماء؛ أبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (وهو اختصار لتفسير الماوردي ج ٢ ص ٤١؛ تحقيق: د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي؛ ط: الأولى، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

ومنهم: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي المتوفى سنة (٦٨٥ هـ)، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾. أي ولا تقف عند قبره للدفن أو الزيارة<sup>(١)</sup>.

ومنهم: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة (٩١١ هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَبِّلْ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقْرُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾، أي الدفن والزيارة<sup>(٢)</sup>.

ومنهم: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعى المتوفى سنة (٩٧٧ هـ) في تفسيره: وقيل: لا تقم

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى؛ ناصر الدين أبو سعيد عبد الله ج ٣ ص ٩٢؛ تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلى؛ ط: الأولى -

١٤١٨ هـ

(٢) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي؛ تفسيره ص: ٢٥٥؛ ط: الأولى؛ دار الحديث - القاهرة.

عند قبره لدفن أو زيارة<sup>(١)</sup>.

ومنهم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى المتوفى (سنة ٩٨٢ هـ) في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُّ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾، قال: أي لا تيقف عليه للدفن أو للزيارة والدعاء<sup>(٢)</sup>.

ومنهم: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي المتوفى (سنة ١٢٧٠ هـ)، قال في تفسيره: ويفهم من كلام بعضهم أنّ (على) بمعنى (عند) المراد: لا تيقف عند قبره للدفن أو للزيارة<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الشربيني؛ شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب؛ السراج المنير ج ١ ص ٦٣٩؛ ط: ١٢٨٥ هـ؛ بولاق (الأميرية) - القاهرة.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للعمادي؛ أبي السعود؛ محمد بن محمد بن مصطفى ج ٤ ص ٨٩؛ ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٣) الألوسي؛ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ج ٥: ص ٣٤٢؛ ط: الأولى،



فهؤلاء وغيرهم من المفسّرين من أهل السنة والجماعة  
أخذوا بإطلاق الآية الشريفة، وحكموا بأنّ المقصود هو  
النهي عن الترّحّم على المنافق وعن الاستغفار له، سواء كان  
بالصلاحة عليه أو بغيرها، سواء كان حين الدفن أم بعده.

ونخلص من كُلّ ما سبق إلى أنّ معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا  
تُصلِّلْ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبْدًا وَلَا نَهْجَةً مَّرَّ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ مَّرْكَفُوْرَا بِاللهِ  
وَرَسُولِهِ وَمَا تَأْوِي وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾<sup>(١)</sup>. هو أنّ الله تعالى نهى  
نبيه ﷺ عن مطلق الاستغفار والترّحّم على المنافق، سواء  
كان بالصلاحة أو مطلق الدعاء، ونهى عن مطلق القيام على  
قبره، سواء كان عند الدفن أو بعده. ومفهوم ذلك هو أنّ  
هذين الأمرين يجوزان للمؤمن. وبهذا يثبت جواز زيارة قبر



١٤١٥ هـ

(١) سورة التوبة: ٨٤

المؤمن، وليس عند الدفن فحسب، بل حتى بعد مئات السنين.

وأيضاً من الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ طَمَّوْا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَفَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ قَوَّابَارِحِيمًا﴾<sup>(١)</sup>؛ فإنّ الزيارة هي الحضور الذي هو عبارة عن المجيء إليه ﷺ، سواء كان لطلب الاستغفار أو بدونه. والتسليم لا يدخل في معناها. وإذا ثبت رجحان ذلك في حال حياته ثبت بعد مماته، لما دلّ على حياته البرزخية، وعرض الأعمال عليه، وسماعه تسلیم من يسلم عليه.

قال السبكى فيما حكاہ عنه السمهودي في (وفاء الوفاء): والعلماء فهموا من الآية العموم لحالتي الموت والحياة، واستحببوا من أتى القبر أن يتلوها، قال: وحكایة الأعرابي في ذلك نقلها جماعة من الأئمة عن العتبى، واسمھ محمد بن

---

(١) سورة النساء: ٦٤

عييد الله بن عمرو، أدرك ابن عيينة وروى عنه وهي مشهورة، حكاها المصنفون في المناسب من جميع المذاهب، واستحسنوها ورأوها من أدب الزائر.

وذكرها ابن عساكر في تاريخه، وابن الجوزي في «مثير الغرام الساكن» وغيرهما بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهمالي، قال: دخلت المدينة فأتيت قبر النبي ﷺ، فزرته وجلست بحذائه، فجاء أعرابي فزاره، ثم قال: يا خير الرسل، إن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ الآية، إلى آخر ما في فصل التوسل، ثم ذكر السمهدوي هذه القصة بطريقين آخرين عن علي بن أبي طالب لا نطيل بذكرهما، فليطلبها من أرادهما<sup>(١)</sup>.

---

(١) وفاء الوفا: ٤١١ / ٢.

## ثانياً : السنة النبوية :

لقد تواترت الأحاديث والروايات في استحباب زيارة القبور، وثبت بالطرق الصحيحة أنّ الرسول الأكرم ﷺ كان يزور البقيع، وشهداء أحد. وعلى هداه سار أهل بيته عليهما السلام وأصحابه المخلصين، بل يكاد هذا الأمر أن يكون مجمعاً عليه عند جميع المسلمين، ولم يشذّ عن ذلك إلا ابن تيمية، ومن سار على نهج الوهابية. فقد روى مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: زار النبي ﷺ قبر أمّه فبكى وأبكي من حوله فقال: «... فزوروا القبور فإنّها تذكركم الموت»<sup>(١)</sup>.

---

(١) صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٦٥ ح ١٠٦، ٩٧٦ ط مؤسسة عز الدين.

وهذا الحديث يدلّ على جواز زيارة القبور ورجحانه،  
والبكاء عند القبر، مضافاً إلى وجود التعليل في ذيله وهو  
تبين لوجه الجواز شرعاً.

وروى بسنده عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ كلما  
كان لياتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى  
البيع، فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما  
توعدون غداً مؤجّلون إنّا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم  
اغفر لأهل بييع الغرقد<sup>(١)</sup>.

وأيضاً عن عائشة قالت: إنّ النبي ﷺ قال: إنّ جبرئيل  
أتاني... فقال: إنّ ربّك يأمرك أن تأتي البيع فتستغفر لهم.  
قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: قولي:  
السلام على أهل الديار من المؤمنين وال المسلمين ويرحم الله  
المستقدمين منا والمستأخرين، وإنّا إن شاء الله بكم

---

(١) صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٦٣ ح ١٢ / ٩٧٤، ط مؤسسة عز الدين.

للاحقون<sup>(١)</sup>.

هذه الرواية وأمثالها تدلّ على أنّ زيارة القبور مشتملة على النداء والخطاب للميّت بقول: السلام على أهل الديار...

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «زوروا القبور فإنّها تذكّركم الآخرة»<sup>(٢)</sup>.

وقد روى البيهقي عن الحاكم عن علي عليهما السلام أنّ: «فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تزور قبر عمّها حمزة كلّ جمعة فتشصي عنده وتبكي»<sup>(٣)</sup>.

وروى الحاكم في المستدرك على الصحيحين، وصححه الذهبيّ، وكذلك صحّحه الألبانيّ، بسنده ((عن عبد الله بن

---

(١) صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٦٤ ح ١٠٣.

(٢) سنن ابن ماجة ج ١ ص ٥٠٠، باب ما جاء في زيارة أهل القبور.

(٣) سنن البيهقي ج ٤ ص ٧٨. والمستدرك على الصحيحين ج ١ ص ٣٧٧.

أبي مليكة قال: إن عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر، فقلت لها: يا أم المؤمنين من أين أقبلت؟ قالت: من قبر عبد الرحمن ابن أبي بكر. فقلت لها: أليس كان رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور؟ قالت: نعم. ثم أمر بزيارتها)). وفي رواية: ((أن رسول الله ﷺ رخص في زيارة القبور))<sup>(١)</sup>.

إذن كل هذه الأحاديث وغيرها، والسيرة العملية لرسول الله ﷺ تدل دلالة واضحة على أن زيارة القبور بصورة عامة عمل مستحب ومشروع، ولا غبار عليه، خلافاً لما أفتى به ابن تيمية الذي خالف جميع المسلمين.

#### استحباب زيارة قبر النبي ﷺ :

أما استحباب زيارة قبر النبي ﷺ فإنه مجمع عليه بين

---

(١) كتاب الجنائز للألباني ، باب ما جاء في زيارة القبور، وصححه بعد أن قال: أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ج ١: ٣٧٦. وعن البيهقي في السنن ج ٤ ص ٧٨

ال المسلمين. قال القاضي عياض: «زيارة قبره صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنة بين المسلمين مجمع عليه وفضيلة مرغب فيه»<sup>(١)</sup>.

وإليك بعض النصوص الواردة في هذا المجال:

فقد روي عن أحمد بن حنبل حين ما سئل عن زيارة النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إِنَّهُ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما من أحد يسلم على إِلاًّ ردَّ الله إِلَيْ روحِي حتَّى أرْدَّ عليه السلام»<sup>(٢)</sup>.  
و معناه أنَّه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو لمن يسلم عليه في زيارته بالسلامة من كُلِّ ضرر في الدنيا والآخرة.

وروى الطبراني بسنده عن رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من حجَّ فزار قبرى بعد وفاتي كمن زارني في حياتي»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ج ٢: ص ١٩٤ الفصل التاسع.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٣٨٧

(٣) المعجم الكبير ج ٤ ص ١٣٤٠، ط إحياء التراث العربي بتحقيق حمدي عبد المجيد.

وروى أيضاً بسنده عن رسول الله ﷺ قال: «من جاءني زائراً لا ت عمله حاجة إلّا زيارتي كان حقاً علىيَّ أن أكون له شفيعاً يوم القيمة»<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عمر، عن النبي ﷺ، قال: «من حجَّ فلم يزرنـي، فقد جفاني»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «من زارني بعد موتي، فكأنـما زارني حيًّا»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) رواه الطبراني في معجمه الكبير ج ١٢ ص ٢٩١ ح ١٣١٤٩.

(٢) أخرجه الدارقطني في سنته ج ٢ ص ٢٧٨.

(٣) سنن البيهقي المجلد الخامس كتاب الحج، باب زيارة قبر النبي ﷺ.

(٤) كنز العمال، المجلد الخامس، باب زيارة قبر النبي ﷺ الحديث . ١٢٣٨٢

وقد روى السبكي في كتابه «شفاء السقام بزيارة قبر خير الأنام» الروايات الواردة في المقام وذكر من صحّحها من أئمّة الحديث عند أهل السنّة، ثم ذكر الأحاديث وهي كثيرة جداً.

# التوسل بالعظماء والأولياء على ضوء الآيات القرآنية والروايات الإسلامية

تمهيد :

و قبل الدخول في الأدلة لا بأس بالإشارة إلى أن الاستعانة بغير الله لا فرق فيها بين الأحياء والأموات؛ لأنَّ الملائكة فيها واحد؛ وإن كان الخصم يدعى التفكير في ولعلَّ ما دفعهم إلى القول بالتفكير هو ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أنس قال: كان عمر بن الخطاب إذا قحطوا استسقى بعمر النبي ﷺ العباس بن عبد المطلب...<sup>(١)</sup>.

---

(١) لاحظ صحيح البخاري ج ٢: ص ١٦، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الاستسقاء إذا قحطوا.

وهو يدلّ على أنّ عمر بن الخطاب قد توسل بعَمَّ  
النبي ﷺ للاستسقاء، فيقولون هذا توسل بالحَيٍّ ولا مانع  
منه.

و على كُلّ تقدير فإنَّ التفكيك بين الحَيٍّ والميت غير  
صحيح؛ لأنَّ الطلب من الغير لو كان طلباً حقيقةً فهو طلب  
من غير الله عزّ وجلّ؛ وبناءً على مسلكهم فالطلب من غير  
الله موجب للشرك. ولو كان الأمر كذلك فلابدّ لهم من  
القول بأنَّ كُلّ طلب من غير الله موجب للشرك، سواء كان  
من الحَيٍّ أم من الميت؛ لأنَّ الملائكة فيها واحد، فيكون  
الطلب من الحَيٍّ أيضاً شرك بنفس الملائكة الموجود في الطلب  
من الميت، بل يكون الطلب من الحَيٍّ أخطر من القول في  
الميت؛ لأنَّ الانتفاع بالحَيٍّ الذي له أثر في الوجود تكويناً  
موجب للاستعانة به حقيقةً، وأمّا الطلب من الميت يكون  
باستعانة دعائه وبجاهه عند الله وحيثئذ لا يكون الطلب منه  
تكتويناً.

فالإشكال الذي يتوجّه إليهم، أَنَّه إِذَا كَانَ الْتَّلْبُ مِنَ  
الْمَيِّتِ شَرْكًا بِاللهِ الْعَظِيمِ لِكُونِهِ اسْتِعْانَةٌ بِغَيْرِ اللهِ، فَالاِسْتِعْانَةُ  
بِالغَيْرِ فِي الْتَّلْبِ مِنَ الْحَيِّ شَرْكٌ بِاللهِ بِطَرِيقٍ أَوْلَى! لَأَنَّ الْحَيِّ  
لَهُ الْأَثْرُ فِي الْوِجُودِ تَكُونِيَّةً.

وبعبارة أخرى: إِنَّ التَّوْسِلَ وَالاسْتِغْاثَةَ بِالْحَيِّ يُكَشِّفُ  
عَنْ أَنَّ الْحَيِّ لَهُ الْقَدْرَةُ فِي التَّأْثِيرِ، حِيثُ يَتَّفَعُ بِهِ تَكُونِيَّةً. مَعَ  
أَنَّ الْخَصْمَ يَجْبُزُ التَّوْسِلَ بِهِ، كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ اسْتِسْقَاءِ عُمَرَ  
ابْنِ الْخَطَّابِ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَرِدُ عَلَيْهِمُ القَوْلُ بِالشَّرْكِ  
حِينَئِذٍ؛ لَأَنَّهُ سُوفَ يَلْزَمُهُمُ القَوْلُ بِأَنَّ الْحَيِّ الْقَادِرُ عَلَى النَّفْعِ  
يَجْبُزُ الْاسْتِغْاثَةَ بِهِ وَالْمَيِّتُ الْعَاجِزُ عَنْ ذَلِكِ لَا يَجْبُزُ التَّوْسِلَ  
وَالاسْتِغْاثَةَ بِهِ مَعَ عَدَمِ الْقَدْرَةِ الْذَّاتِيَّةِ لَهُذَا عَلَى التَّأْثِيرِ. وَهَذَا  
أَخْطَرُ مِنَ الْأَوَّلِ فِي القَوْلِ بِالشَّرْكِ.

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّنَا بِحَسْبِ الْعِقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ  
بِأَنَّ كُلَّ الْأَشْيَاءِ وَالْأَسْبَابِ مُتَسَاوِيَّةٌ فِي الْقَدْرَةِ وَالْعَجَزِ؛ لَأَنَّ  
اللهَ تَعَالَى هُوَ مُسَبِّبُ الْأَسْبَابِ، فَإِنْ شَاءَ أَعْجَزَ الْقَادِرَ وَإِنْ

شاء أقدر العاجز، وهذه هي عقيدة التوحيد الصحيحة، لا كما يتوهّمون. وسيتضح ذلك من خلال المباحث الآتية.

ثم إن هنالك فرقاً بين التوسل والاستغاثة، فالتوسل طلب أمر بوسيلة مّا، أي بشفيع مّا. أمّا الاستغاثة فهي طلب الغوث والنصرة ممن يقدر على الإعانة.

وبعبارة أخرى: طلب العبد الإغاثة هو مّن يقدر عليها حقيقةً، وهو الله تعالى أو مّن أقدرهم الله عليهما بحوله وقوّته وهم أنبياؤه وأولياؤه وعبادُه الصالحون.

وقد يطلق التوسل على الاستغاثة إذا نظر إلى حقيقة الأشياء وكون كل الأسباب هي بيد مسببها وفاعلها الحقيقي وهو الله تعالى؛ لأنّه لا تأثير في الوجود إلّا الله، فيمكن بهذا المعنى تصوير كل طلب من غير الله من باب أنه توسل بالله تعالى. وهو المعنى الدقيق الصحيح للعقيدة الإسلامية.

وبعد وضوح هذه الأمور فإن الآيات والأحاديث الواردة في المقام كثيرة جداً، لأن القرآن الكريم تكلّم في التوحيد والشرك في أكثر آياته وقصصه وبياناته ولم يدع هذا الأمر المهمّ بل الأهمّ مجملًا أو غامضًا، فرّكز على وجوب نسبة كل شيء إلى الله تعالى وكل تأثير وقدرة كذلك، وكونه تعالى مسبب الأسباب والمتفّرد بالخلق والأمر والتأثير، ومع ذلك يثبت التأثير لخلوقاته من جهة أخرى، ويكون التأثير في طول تأثير الخالق لا في عرضه.

فلا شك في أن القرآن لم ينفي أمر الاستعانة بالأسباب المادية، بشرط أن يعتقد الإنسان أن هذه الأسباب غير مستقلة في التأثير، وأن يؤمن في قراره نفسه بأن تأثير هذه الأسباب التي يستعين بها مشروط بإذن الله تعالى.

والأمثلة في هذا الموضوع كثيرة، فقد قصّ علينا القرآن أن رجلاً من شيعة موسى عليه السلام استغاث به، فأجابه موسى عليه السلام ونصره على عدوه.

ووصف القرآن الأنصار بأنهم ﴿الَّذِينَ آتُوا وَنَصَرُوا﴾<sup>(١)</sup>، مع أنه في آية أخرى حصر النصر في الله تعالى دون سواه<sup>(٢)</sup>. وقد أمرنا الله تعالى أن نعد لعدونا العدة، فقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْنَا مِنْ قُوَّةٍ﴾<sup>(٣)</sup>، مع أننا نؤمن بأن القوة والحول كلّه لله تعالى. وأمرنا تبارك وتعالى ألا نستعين بغيره فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(٤)</sup>.

لكنه من جانب آخر يوصينا أن يعين أحدنا الآخر في قوله سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَى﴾<sup>(٥)</sup>. ويوصينا بالاستعانة بالصبر والصلوة فيقول: ﴿وَاسْتَعِينُوا

(١) سورة الأنفال: ٧٢.

(٢) سورة الأنفال: ١٠.

(٣) سورة الأنفال: ٦٠.

(٤) سورة الفاتحة: ٥.

(٥) سورة المائدة: ٢.

**بِالصَّابَرِ وَالصَّلَاةِ**<sup>(١)</sup> ، معَ أَنَّا إِنَّمَا نُسْتَعِينُ بِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَيُخَبِّرُنَا اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْعَسْلِ أَنَّهُ فِيهِ شَفَاءٌ لِلنَّاسِ<sup>(٢)</sup> ؛ مَعَ أَنَّ أَحَدًا مِنَّا لَا يَعْتَقِدُ بِأَنَّ الْعَسْلَ هُوَ الشَّافِي؛ بَلْ نَعْتَقِدُ جَمِيعًا بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَوْدَعَ فِي هَذَا السَّائِلَ شَفَاءً، وَأَنَّ الْعَسْلَ إِنَّمَا يَشْفِي بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

### **التوسل والاستغاثة في القرآن والروايات:**

مضافاً إلى الآيات القرآنية التي تقدّمت الإشارة إليها ذكر هنا بعض النماذج من التوسل والاستغاثة في الآيات والروايات:

فمنها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ

---

(١) سورة البقرة: ٤٥.

(٢) سورة التحل: ٦٩.

الْوَسِيلَةُ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١﴾ . وهذه دعوة عامة من الله تعالى للتقرّب إليه بالوسائل، وتقول: من كان يتقى الله، عليه أن يجعل بينه وبين ربّه الوسيلة الموجبة للتقرّب إلى الله تعالى، ألا وإنّ أقرب الوسيلة التوسل بأقرب الخلق إلى الله وهم أولياؤه المعصومون عليهم أفضل الصلاة والسلام محمد وآل محمد الأطهرين الأطهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كما نصّت عليها الآيات المباركة كآية المباهلة وأية التطهير وأية المودّة وغيرها من الآيات، والسنة النبوية الشريفة التي سيأتي ذكرها لاحقاً إن شاء الله تعالى.

فالآية تحدّث المسلمين على ابتعاد الوسيلة والتوجّه بها إلى الله، حيث إنّ الجار والمجرور في قوله تعالى (إليه) متعلق بالوسيلة، والابتعاد لم يأخذ إلّا مفعولاً واحداً وهو الوسيلة، فالمسلمون والمؤمنون مأمورون بابتعاد الوسيلة والفرز إليها

---

(١) سورة المائدة: ٣٥.

وتوسيطها بينهم وبين الله تعالى، ولا يمكن ابتعاء الله تعالى من دون الواسطة والوسيلة، ولذا لم يكن الابتعاء في الآية إلّا للوسيلة؛ لكونها موصلة إلى الله سبحانه وتعالى، فلا توحيد ولا عبادة صحيحة لله تبارك وتعالى إلّا إذا كانت عن طريق الوسائل والوسائل بينه وبين خلقه؛ ولذا كفر الشيطان عندما استكبر على وسيلة الله وخليفته آدم عليهما السلام.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذَا ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ مُّجَاءٌ وَلَهُمْ قَاتَلُوكُمْ وَأَنْتُمْ لَهُمْ بِأَنْكَارٍ حِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.  
وهذه الآية المباركة تحتّ أيضًا على الرجوع إلى النبي ﷺ وجعله واسطة في غفران الذنوب بواسطة استغفاره ﷺ.  
والآية كما ترى مطلقة تشمل حال الحياة وبعد الممات، وهذا ما فهمه أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، كما في قصة الأعرابي، وهي حكاية العتبى المشهورة، حيث قال: «كنت جالساً عند

---

(١) سورة النساء: ٦٤

قبر رسول الله ﷺ فجاء أعرابيًّا، فقال: السلام عليك يا رسول الله، إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ مَجَاوِعٌ وَكَفَاسَتَغْفِرَةُ اللَّهِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهُ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾، وقد جئتكم مستغفراً لذنبي، مستشفعاً بك إلى ربِّي؛ ثمَّ بكى، وأنشأ يقول:

يا خير مَن دفنت بالقَاعِ أَعْظَمَهُ فطَابَ مِنْ طَيْبِهِنَّ الْقَاعِ  
 وَالْأَكْمُ

ثمَّ انصرف الأعرابيًّا، فغلبتني عيني فرأيت رسول الله ﷺ، فقال: يا عتبى، الحق الأعرابيًّا، فبشره أنَّ الله قد غفر له»<sup>(١)</sup>.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رُسُولُ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٣٢. والمجموع، لمحيي الدين النووي ج ٨ ص ٢٧٤.

اللَّهُ لَوْزَارُو وَسَهْمُو رَأَيْتَهُمْ يَصْدَوْنَ وَهُمْ مُسْتَكَبِرُونَ ﴿١﴾ . وهذا الاستكبار الذي نصّت عليه الآية المباركة بنفسه حصل من إبليس عندما أمره الله تعالى بالسجود لآدم وجعله واسطة في تعليم الأسماء والوقوف على حقائق الخلق، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكَبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup> .

وصرّح الآية تبيّن ما وقع من المنافقين عندما أمرهم الله تعالى بالرجوع إلى النبي الأكرم ﷺ وجعله واسطة في المغفرة والاستغفار، فحصل لهم ما حصل لإبليس من الاستكبار على أوامر الله تعالى، وهذا هو سبيل كلّ من يسلك صراط الاستنكار على مبدأ الوسائل والوسائل الإلهيّة.

(١) سورة المنافقون: ٥.

(٢) سورة البقرة: ٣٤.

ومنها قوله تعالى حاكياً عن ولد يعقوب: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(١)</sup>.

ويستفاد من الآية أن طلب الاستغفار من الآخرين غير مناف للتوحيد، بل هو سبيل الوصول إلى لطف الله سبحانه، وإلا فكيف كان يمكن ليعقوب عليه السلام أن يستجيب لطلب أبناءه في أن يستغفر لهم وأن يحييهم بالإيجاب على توسّلهم به؟

وهذا الأمر يدل على أن التوسل بأولياء الله جائز كما هو واضح ظاهر.

ومنها: قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيَّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْزُجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة يوسف: ٩٧ - ٩٨.

(٢) سورة الإسراء: ٥٧.

فإنَّ كُلَّ مُعْمَلٍ حَسَنٌ، وَتُشَمَّلُ  
أيضاً كُلَّ وَليٌّ مِنْ أَوْلَيَاءِ اللَّهِ، لَأَنَّ كُلَّ هَذِهِ الْأَمْرَاتِ تَكُونُ  
سَبِيباً فِي التَّقْرِبِ إِلَى اللَّهِ.

وقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة قوله عليه السلام: «إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلُ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَالجَهَادُ فِي سَبِيلِهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصُومُ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَحِجَّةُ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ، وَصَلَةُ الرَّحْمَنِ، وَصَدَقَةُ السَّرِّ، وَصَدَقَةُ الْعُلَمَاءِ، وَصَنَاعَةُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِيُّ مَصَارِعَ الْمَوْنَانِ»<sup>(١)</sup>.

فشفاعة الأنبياء والصالحين والمقربين التي تكون مقبولة في حضرة الله تبارك وتعالى هي الوسيلة، كما تصرّح بذلك الآيات القرآنية.

ومنها: قوله تعالى حكاية عن نبي الله سليمان: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا

---

(١) نهج البلاغة الخطبة: ١١٠.

الَّذِئْنَ أَتَكُمْ بِأَتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ<sup>(١)</sup>. فهذا سليمان وهو نبيٌّ من أنبياء الله تعالى يتوسل في قضاء الأمور المهمة والخارقة للعادة بمن عنده علم من الكتاب، حيث طلب الإتيان بالعرش من ذلك المكان البعيد قبل أن يأتيوه، وهو من الأمور التي لا تتحقق إلا بإعجاز وقوّة إلهيّة، وقد جعل الله تعالى واسطة ذلك مَنْ كان عنده علم من الكتاب، وهذا لا يعني أنَّ سليمان في جعله الواسطة للإتيان بالعرش كان عاجزاً عن ذلك، بل لأجل أن يبيّن للناس أنَّ في أُمّته حكومته مَنْ هو واسطة في قضاء مهمات الأمور.

---

(١) سورة التمل: ٣٨.

## الروايات الواردة في باب التوسل والاستغاثة :

أخرج الطبراني، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن عمّه عثمان بن حنيف: إن رجلاً كان مختلفاً إلى عثمان بن عفان في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكى ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: أئْتِ الميضاة فتوضّأ، ثم أئْتِ المسجد فصلّ فـ  
ركعتين، ثم قـل: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتُوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) نَبِيِّ الرَّحْمَةِ. يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتُوَجَّهُ إِلَيْكَ إِلَى رَبِّي فَتَقْضِي لِي حاجتي" ، فـ  
فـ ذكر حاجتك وـ رحـ حتـى أـ رـوحـ معـكـ .

فـ انطلـقـ الـ رـجـلـ فـ صـنـعـ ماـ قـالـ لـهـ،ـ ثـمـ أـ تـىـ بـابـ عـثـمانـ بنـ عـفـانـ،ـ فـ جـاءـ الـ بـوـابـ حتـىـ أـ خـذـ بـيـدـهـ فـ أـ دـخـلـهـ عـلـىـ عـثـمانـ بنـ عـفـانـ،ـ فـ أـ جـلـسـهـ مـعـهـ عـلـىـ الطـنـفـسـةـ،ـ فـ قـالـ:ـ حاجـتكـ؟ـ فـ ذـكـرـ

حاجته وقضهاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كان  
الساعة. وقال: ما كانت لك من حاجة فاذكرها.

ثم إنَّ الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف،  
فقال له: جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت  
إليَّ حتى كلامته فيِّ، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلامته،  
ولكنِّي شهدت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأتاه ضرير فشكا إليه  
ذهب بصره، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فتصبر؟ فقال: يا رسول  
الله ليس لي قائد فقد شق علىَّ.

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أئ特 الميضاة فتوضاً، ثم صل ركعتين،  
ثم ادع بهذه الدعوات.

قال ابن حنيف: فوالله ما تفرقا وطال بنا الحديث حتى  
دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضررٌ قط<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر المعجم للطبراني ج ٩ ص ٣٠ - ٣١، باب ما أنسد إلى عثمان بن حنيف برقم ٨٣١١ وفي المعجم الصغير له ج ١ ص ١٨٣ - ١٨٤.

هذه الرواية قد صحّحها الطبراني<sup>(١)</sup>، والمنذري<sup>(٢)</sup>.

والهيثمي<sup>(٣)</sup> وغيرهم.

وفيه دليل على أنّ الأعمى توسل بالنبيِّ ﷺ في غير حضرته، بل ذهب إلى الميضاة فتوضاً وصلّى ودعا باللّفظ الذي علّمه الصحابيُّ، دعاء تضمن التوسل بشخص النبيِّ ﷺ. فهذا الحديث من أمتّن الأدلة وأصرّحها على جواز التوسل بذات النبيِّ ﷺ. ومن أبرز الجمل الصرّيحـة فيه هي:

أ - (اللّهم إني أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك)، فإنَّ التوجّه بالنبيِّ ﷺ الوارد في هذا الدعاء معناه التوجّه بذات النبيِّ المقدّسة وشخصيّته الكريمة ﷺ، ولا يمكن تقدير كلمة

---

(١) المعجم الصغير ج ١ ص ١٨٤.

(٢) الترغيب والترهيب ج ١ ص ٤٧٦.

(٣) مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٧٩.

(دعا) تكون الجملة: أتوّجّه إليك بداعٍ نبيّك؛ خلافاً للظاهر وتحكّماً بلا دليل، بل إنّ هذا الدعاء الذي علّمه النبيّ ﷺ للرجل الضرير: «اللّهم إني أسألك وأتوّجّه إليك بنبيّك»، هو نفس مضمون الآية المباركة: ﴿وَابتُغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾.

ب - (محمد نبيّ الرحمة) وهذه الجملة تؤكّد أنّ المقصود من السؤال من الله بواسطة النبيّ ﷺ وشخصيته، حيث جاءت هذه الجملة «محمد نبيّ الرحمة» بعد كلمة نبيّك.

ج - جملة «يا محمد إني أتوّجّه بك إلى ربّي» وهذه الجملة تدلّ على أنّ الرجل حسب تعليم الرسول ﷺ اتخذ نفس النبيّ ﷺ وسيلة لدعائه أيّ أنه توسل بذات النبيّ ﷺ لا بداعاه.

د - «وشفّعه في»: أي يا ربّ، اجعل النبيّ ﷺ شفيعي وتقبّل شفاعته في حقي، وليس معناه تقبّل دعاءه في حقي.

فقال راوي الحديث عثمان بن حنيف: «فوالله ما تفرّقنا

ولا طال بنا المجلس حتى دخل علينا وقد أبصر». .

أمّا ما توسل فيه النبي ﷺ بحقه وحق من سبقه من الأنبياء فقد روى الطبراني بسنده عن أنس بن مالك: (أنه لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علي عليهما السلام دخل عليها رسول الله فجلس عند رأسها، فقال: «رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعيني، وتعرين وتكسيني، وتنعجين نفسك طيب الطعام وتطعميني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة»).

ثم أمر أن تغسل ثلثاً ثلثاً، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله بيده، ثم خلع رسول الله قميصه فألبسها إياه وكفّنها ببرد فوقها، ثم دعا رسول الله أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وغلاماً أسود يحفرون فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله فاضطجع فيه وقال: «الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة

بنت أسد ولقنها حجّتها، ووسع عليها مدخلها بحقّ نبيك  
والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين» وكبّر عليها  
أربعاً وأدخلها اللحد<sup>(١)</sup>.

فالرواية صريحة في توسّل النبي ﷺ بحقه وحق من  
سبقه من الأنبياء عليهما السلام.

وروى أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي سعيد  
الخدرى عن رسول الله ﷺ قال: من خرج من بيته إلى  
الصلاوة فقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ،  
وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّ كَمْشَايَ هَذَا فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرَأً وَلَا بَطْرَأً وَلَا

---

(١) المعجم الأوسط ج ١ ص ٦٧. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ج ٣  
ص ١٢١؛ والحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٠٨؛ وابن عبد البر في  
الاستيعاب في حاشية الإصابة ج ٤ ص ٣٨٢؛ والذهبي في سير أعلام  
النبلاء ج ٢ ص ١١٨ برقم ٧؛ والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩  
ص ٢٥٦؛ والمتنقي الهندي في كنز العمال ج ١٣ ص ٦٣٦ برقم  
.٣٧٦٠٨

رياءً ولا سمعةً، وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك،  
 فأسألك أن تعينني من النار وأن تغفر لي ذنبي، إنك لا يغفر  
 الذنب إلا أنت<sup>(١)</sup>؛ أقبل الله عليه بوجهه، واستغفر له سبعون  
 ألف ملك<sup>(١)</sup>.

وروى الهيثمي بسنده عن عمر بن الخطاب عن  
 رسول الله ﷺ قال: «لما أذنب آدم الذنب الذي أذنبه، رفعَ  
 رأسه إلى السماء فقال: أسلّك بحق محمد إلا غفرت لي.  
 فأوحى الله إليه: ومن محمد؟ فقال: تبارك اسمك، لما خلقت  
 رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب: لا إله إلا الله  
 و Muhammad رسول الله ، فقلت: إنه ليس أحد أعظم عندك قدراً  
 من جعلت اسمه مع اسمك. فأوحى إليه إنه آخر النبيين من

(١) مسنـد أـحمد بن حـنـبل ج ٣ ص ٢١؛ وروـاه ابن مـاجـه فـي سـنة ج ١  
 ص ٢٥٦ ح ٧٧٨.

ذُرْيَّتَكَ، وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ لَمَّا خَلَقْتَكَ»<sup>(١)</sup>.

هذه الرواية أيضاً صريحة في توسل آدم عليه السلام بحق رسول

الله محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه.

وروى الدارمي في سنته، والسمهودي في وفاة الوفاء عن  
أوس بن عبد الله قال: قحط أهل المدينة قحطًا شديداً فشكوا  
إلى عائشة فقالت: انظروا قبر النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه فاجعلوا منه كوة إلى  
السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف قال: فعلوا  
فمُطرنا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الإبل<sup>(٢)</sup>.

---

(١) مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٥٣؛ ورواه الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٦١٥؛ والآلوي في تفسيره روح المعاني ج ١ ص ١٧؛ والسيوطى في تفسيره الدر المنشور ج ١ ص ٥٩.

(٢) سنن الدرامي ج ١ ص ٤٤-٤٣؛ وفأء الوفا ج ٢ ص ٥٤٩. وراجع أيضاً كتاب دلائل النبوة للبيهقي ج ٧ باب ما جاء في رؤية النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه في المنام ص ٤٧؛ حيث روى رواية مشابهة لهذه الرواية وهي صريحة أيضاً في التوسل بالنبي صلوات الله عليه وآله وسلامه عند قبره.

وروى أَحْمَدُ زِيني دَحْلَانَ فِي كِتَابِهِ الدُّرَرُ السُّنِّيَّةِ، أَنَّهُ سَأَلَ  
 الْمُنْصُورَ الْعَبَاسِيَّ إِمامَ الْمَالِكِيَّةِ مَالِكَ بْنَ أَنْسٍ عَنْ كِيفِيَّةِ زِيَارَةِ  
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّوَسُّلِ بِهِ وَقَالَ: «يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ  
 وَأَدْعُوا، أَمْ أَسْتَقْبِلُ رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ مَالِكٌ فِي جَوابِهِ: لَمْ  
 تَصْرِفْ وَجْهَكَ عَنْهُ وَهُوَ وَسِيلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ آدَمَ إِلَى  
 اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟! بَلْ اسْتَقْبِلُهُ وَاسْتَشْفِعْ بِهِ فَيُشَفَّعُهُ اللَّهُ فِيْكَ،  
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ طَمَئْنُوا أَنْفَسُهُمْ...﴾<sup>(١)</sup>.

هَذِهِ الرَّوَايَةُ أَيْضًا صَرِيحَةُ بَأْنَ إِمامَ الْمَالِكِيَّةِ يَعْلَمُ الْمُنْصُورَ  
 التَّوَسُّلَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ وَرَدَتْ رَوَايَاتٌ تَدَلُّلٌ عَلَى أَنَّ الْأَمْوَاتَ يَسْمَعُونَ  
 مِنْ يَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ، فَقَدْ رَوَى الْمُؤْرِخُونَ أَنَّهُ بَعْدَ اِنْتِهَاءِ معرِكَةِ  
 بَدْرٍ بِهِزِيمَةِ الْمُشْرِكِينَ وَقَتْلِ صَنَادِيدِهِمْ، وَقَفَ رَسُولُ  
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَاطِبُهُمْ وَاحِدًا تَلَوَ الْآخَرَ، وَيَقُولُ: "يَا أَهْلَ

(١) انظر: الدُّرَرُ السُّنِّيَّةِ لأَحْمَدَ زِيني دَحْلَانَ: ص. ٩.

القليل، يا عتبة بن ربيعة، ويَا شيبة بن ربيعة، يا أُمِّيَّةَ بْنَ خَلْفَ، يا أَبَا جَهْلٍ، وَهَكُذا عَدَّ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ،  
وَقَالَ: هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبّكُمْ حَقًّا فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا  
وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا؟

فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَنَادِي قَوْمًا مَوْتَىًّا؟  
فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكُنُّهُمْ لَا  
يُسْتَطِيعُونَ أَنْ يَحْيِيُونِي»<sup>(١)</sup>.

وَأَخْرَجَ الْبَخَارِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ نَافِعٍ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ أَخْبَرَهُ،  
قَالَ: اطْلُعْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَهْلِ الْقَلِيلِ، فَقَالَ: «وَجَدْتُمْ مَا  
وَعَدَ رَبّكُمْ حَقًّا؟» فَقَيلَ لَهُ: نَدْعُو أَمْوَاتًا؟، فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ  
بِأَسْمَعِهِمْ، وَلَكُنْ لَا يَحْيِيُونِ»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ج ١ ص ٦٤٩. والسيرات الحلبية ج ٢ ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٢) صحيح البخاري ج ٢ ص ١٠١.

وكذلك المسلمون على اختلاف مذاهبهم يسلمون على رسول الله ﷺ في تشهد الصلاة فيقولون: "السلام عليك أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ".

فإن كانت صلتنا منقطعة بالنبي ﷺ فما معنى سلامنا عليه خمس مرات يومياً؟

روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ كان يزور القبور، وينحرج آخر الليل إلى البقيرع، فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون وإنما إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيرع الغرقد»<sup>(١)</sup>.

وأما ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾<sup>(٢)</sup>

---

(١) صحيح مسلم ج ٣ ص ٦٣، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور.

(٢) سورة روم: ٥٢

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ﴾<sup>(١)</sup>، فإنّ المقصود بالإسماع: إسماع الموتى من الكفار الذين لا يجدون نفعاً من قول النبي ﷺ بعدما ماتوا كافرين؛ هذا إذا قلنا إنّ معناه الإسماع الحقيقى.

وأمّا إذا قلنا إنّ المقصود بالموتى الكنية عن الكفار وعدم قبوthem للقول الحق فالمعنى لا يرتبط بالمقام.

ولا يخفى أنّ الموت ليس انعداماً للإنسان خلافاً لما يعتقد الماديون، فإنّ الأدلة الإسلامية تدلّ على أنّ الروح تنفصل عن جسد الإنسان فترة من الزمان، في عالم البرزخ، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ وَرَأَهُمْ بَرَزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبَعْثُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. فهناك نوع من الحياة غير هذه الحياة المادية والقرآن يدلّنا على أنّ الأرواح يسمعون كما في قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ

---

(١) سورة فاطر: ٢٢.

(٢) سورة المؤمنون: ١٠٠.

َبِنَّا مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آتِيَةً<sup>(١)</sup>. فإنّ ظاهر الآية خطاب إلى النبي ﷺ «وَاسْأَلْ...»: أي اسأل من أرواح الأنبياء... فلو كانت أرواح الأنبياء لا تجيب سؤالاً لكان ذلك لغوًّا؛ ومن خلال هذه الآية المباركة يتبيّن أنّ ارتباط النبي ﷺ بأرواح الأنبياء أمر ممكن.

ثم إنّ القرآن الكريم يُسلّم على الأنبياء الذين توفّوا، وذلك في قوله تعالى: «سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ»<sup>(٢)</sup>، «سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ»<sup>(٣)</sup>. «سَلَامٌ عَلَى إِلَيْنَا يَسِينَ»<sup>(٤)</sup>. وأيضاً إنّ السلام على النبي ﷺ في الصلاة أمر مجمع عليه عند المسلمين.

(١) سورة الزخرف: ٤٥.

(٢) سورة الصافات: ١٠٩.

(٣) سورة الصافات: ١٢٠.

(٤) سورة الصافات: ١٣٠.

ثم إلينك أخي المسلم أقوال العلماء من المذاهب الأربعة  
الدلالة على جواز التوسل بالنبي ﷺ وأنه ليس شركاً:

### المذهب الحنفي:

قال الشيخ نظام الدين في كتابه (الفتاوى الهندية) على  
مذهب الحنفية، بعد أن ذكر كيفية آداب زيارة قبر  
الرسول ﷺ، ذكر الأدعية التي يقولها الزائر فقال: «ثم  
يقف (أي الزائر) عند رأسه ﷺ كالاً أول ويقول: اللهم  
إِنّكَ قلْتَ وَقُولْكَ الْحَقُّ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ  
جَاءُوكَ...﴾ الآية، وقد جئناك سامعين قولك، طائعين  
أمْرِكَ، مستشفعين ببنيك إلينك...»<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: الفتاوى الهندية ج ١ ص ٢٦٦، كتاب المناسك، باب: خاتمة في  
زيارة قبر النبي ﷺ.

### **المذهب المالكي:**

قال الشيخ ابن الحاج المالكي المعروف بإنكاره للبدع، في كتابه (المدخل) ما نصّه: فالتوسّل به عليه الصلاة والسلام هو مُحَلٌّ حَلْ أَهْمَالِ الْأَوْزَارِ وَأَثْقَالِ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، لِأَنَّ بُرْكَةَ شَفَاعَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ وَعِظَمَهَا عِنْدِ رَبِّهِ لَا يَتَعَاظِمُهَا ذَنْبٌ، إِذَاً أَتَهَا أَعْظَمُ مِنَ الْجَمِيعِ، فَلَا يَسْتَبَشِرُ مَنْ زَارَهُ، وَيَلْجَأُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِشَفَاعَةِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَنْ لَمْ يَزِرْهُ. اللَّهُمَّ لَا تُحْرِمَنَا شَفَاعَتَهُ بِحُرْمَتِهِ عِنْدَكَ آمِينٌ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَمَنْ اعْتَقَدَ خَلَافَ هَذَا فَهُوَ المَحْرُومُ»<sup>(١)</sup>.

### **المذهب الشافعي:**

قال النووي في (المجموع): «ثُمَّ يرجع إلى موقفه الأول فُبَالَة وَجَهَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَوَسَّلُ بِهِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ

(١) المدخل ج ١ ص ٢٥٩ - ٢٦٠

ويستشفع به إلى ربّه<sup>(١)</sup>.

### المذهب الحنفيّ:

أجاز صاحب المذهب أحمد بن حنبل التوسل كما نقل عنه المرداوي الحنفي في (الإنصاف): «ومنها (أي من الفوائد) يجوز التوسل بالرجل الصالح على الصحيح من المذهب، وقيل: يستحب. قال الإمام أحمد للمرزوقي: يتَوَسَّلُ بالنبي ﷺ في دعائه، وجزم به في المستوعب وغيره»<sup>(٢)</sup>.

هذه أربعة أقوال من المذاهب الأربعة فيها جواز التوسل بالنبي ﷺ تبيّن أن المذاهب الأربعة في مسألة التوسل يدُ واحدة؛ فيلزم على جميع أهل السنة أن يعتقدوا بالجواز لأنهم يقتدون بأحد هؤلاء العلماء من المذاهب الأربعة.

---

(١) المجموع ج ٨ ص ٢٧٤، كتاب صفة الحجّ، باب زيارة قبر الرسول ﷺ.

(٢) الإنصاف ج ٢ ص ٤٥٦، كتاب صلاة الاستسقاء.

**دين علماء المسلمين التوسل بالنبي ﷺ :**

ولزيادة الفائدة وتبين أنَّ التوسل بالنبي ﷺ دين كثير  
من أعلام علماء المسلمين نذكر بعض العلماء الذين توسلوا  
بالنبي ﷺ في مؤلفاتهم:

- ١- خاتمة اللغويين الحافظ مرتضى الزبيدي الحنفي، قال  
في خاتمة (تاج العروس). داعياً: «ولا يكلنا إلى أنفسنا فيما  
نعمله وننُوِّيه (بمحمد وآلـهـ الكرام البررة)»<sup>(١)</sup>.
- ٢- ابن حجر الهيثمي الشافعي، قال في خاتمة كتابه (تحفة  
الزوّار إلى قبر المختار) داعياً: «ختم الله لنا ولمن رأى في هذا  
الكتاب بالسعادة والخير ورفعنا وإيّاهم في الجنة إلى المقام  
الأسمى (بجاه سيد الأولين والآخرين)»<sup>(٢)</sup>.
- ٣- الفيومي، قال في خاتمة كتابه (المصباح المنير) داعياً:

---

(١) تاج العروس ج ٢٠ ص ٤٤٧.

(٢) تحفة الزوار: ١٥.

«ونسأّل الله حسن العاقبة في الدنيا والآخرة وأن ينفع به طالبه والناظر فيه وأن يعاملنا بما هو أهله (بمحمد وآله الأطهار) وأصحابه الأبرار»<sup>(١)</sup>.

٤- العلّامة الفقيه عبد الغني الغنيمي الحنفي صاحب (اللباب في شرح الكتاب) قال في خاتمة كتابه (شرح العقيدة الطحاوية) داعياً: «وصلَّ وسلّمَ على سيدنا محمدَ فإنَّه (أقرب من يتوسل به إلينك)»<sup>(٢)</sup>.

٥- شمس الدين الرملي الملقب بالشافعي الصغير، قال في مقدمة كتابه (غاية البيان في شرح زيد ابن رسلان) داعياً: «والله أسأل (وبنيّه أتوسل) أن يجعله (أي عمله في هذا الكتاب) خالصاً لوجهه الكريم»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) خاتمة المصباح المنير في غريب الشرح الكبير.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية: ١٤٤.

(٣) غاية البيان لشمس الدين محمد بن أحمد الرملي ص ٢.

٦- خاتمة المحققين الشيخ ابن عابدين الحنفي، قال في مقدمة (حاشيته على رد المحتار) داعياً: «وإني أسأله تعالى (متوسلاً إليه بنبيه المكرم ﷺ)»<sup>(١)</sup>.

٧- محمد علاء الدين ابن الشيخ ابن عابدين، قال في خاتمة تكملة حاشية والده داعياً: «كان الله له ولوالديه، وغفر له ولأولاده ولمشايخه ولمن له حق عليه (بجاه سيد الأنبياء والمرسلين)»<sup>(٢)</sup>.

٨- محمد الزرقاني المالكي، قال في خاتمة شرحه للموطأ داعياً: «وأسألك من فضلك (متوسلاً إليك بأشرف رسلك) أن تجعله (أي شرحه للموطأ) خالصاً لوجهك»<sup>(٣)</sup>.

٩- المحدث إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي

---

(١) حاشية رد المحتار لابن عابدين ج ١ ص ٤.

(٢) تكملة حاشية رد المحتار لابن عابدين ج ٢ ص ٦٥٩.

(٣) شرح الزرقاني للزرقاني المصري الأزهري ج ٤ ص ٦٩٥.

الشافعيّ، قال في كتابه (كشف الخفاء ومزيل الإلباس) داعيًا: «وَضَعَ اللَّهُ عَنِّا سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا بِإِفْضَالِهِ الْجَارِيِّ، وَخَتَّمَهَا بِالصَّالِحَاتِ (بِجَاهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) سَيِّدِ السَّادَاتِ»<sup>(١)</sup>.

١١—الحافظ السخاوي، قال في خاتمة (شرح الفيّة العراقي) في الحديث: «سَيِّدُنَا مُحَمَّدُ سَيِّدُ الْأَنَامِ كُلُّهُمْ (وَوَسِيلَتَنَا) وَسَنَدُنَا وَذَخْرُنَا فِي الشَّدَائِدِ وَالنَّوَازِلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

ثُمَّ إِنَّهُ لَا شَكَّ فِي أَنَّ الشَّهِداءَ أَحْيَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزَقُونَ كَمَا نَصَّتِ الآيَةُ الشَّرِيفَةُ: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>؛ فالقرآن صريح في أنَّ الشَّهِداءَ أَحْيَاءَ وَلَا شَكَّ أَنَّ أَئِمَّةَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِالإِضَافَةِ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالزَّهْرَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قد قَضُوا شَهِداءً (وَهَذَا

---

(١) كشف الخفاء ج ٢ ص ٤١٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٦٩.

البحث ثابت في محله بالأدلة والبراهين)؛ ومعناه أنهم أحياه عند ربهم يرزقون بنص هذه الآية الشريفة، ومن لوازم الحياة السمع والبصر والإدراك، وهذا المعنى قد نصّت عليه نفس الآية الكريمة والآية التي بعدها بذكرها أفعال الإدراك: **(يُرَزَّقُونَ)** ، **(فَرِحِينَ)** ، **(يَسْتَبِشِرُونَ)** ؛ بل قوله تعالى: **(يَسْتَبِشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ حَلْفِهِمْ**<sup>(١)</sup> . وهذا دحض من الله تعالى لكل الدعاوى ضد الشيعة والتي هي بعيدة كل البعد عن توسل المؤمنين بأهل البيت ع.

---

(١) سورة آل عمران: ١٧٠.

**تعظيم قبور الصالحين والتبرّك بها والمكث عندها :**

إنّ ظاهرة التبرّك بآثار الأنبياء والصالحين معروفة حتّى عند الأمم التي سبقت الإسلام، والتي تتضمّن التبرّك بشياب أولئك الأنبياء وبقاياهم.

فمن أمثلة التبرّك عند الأمم السابقة تبرّك النبي يعقوب عليهما السلام بقميص ابنه النبي يوسف عليهما السلام، قال تعالى:

﴿إذْهَبُوا إِبْقَمِصِي هَذَا فَالْفُوْهُ عَلَى وَخْوَأِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

وقد امثل إخوة يوسف لأمره، فجاؤوا بقميصه وألقوه على وجه أبيه الذي كان قد فقد بصره حزناً على فراق ولده يوسف، فجعل الله تعالى قميص يوسف سبباً لارتداد بصر أبيه يعقوب عليهما السلام، فكان ذلك من قدرة الله تعالى وبركة ذلك القميص، ومعلوم أنّ الله تعالى يقدر أن يردد بصر

---

(١) سورة يوسف: ٩٣

يعقوب عليه السلام دون حاجة إلى إلقاء ذلك القميص على وجهه، ولكن الله تعالى حكمة في جعل بعض الأشياء المباركة سبباً لتحقيق غاية، ولا شك أن ذلك مردّه إلى أن يجعل ذلك سنة يقتدي بها الأنام فيعرفوا أن هنالك أشياء وأمكنة وأزمنة وأشخاصاً لها مقامات عند الله تعالى، فجعل فيها بركة تتيح لها شفاء المرضى أو استجابة الدعاء أو الشفاعة لغفران الذنوب، ونحو ذلك.

قال الزمخشري: قيل: هو القميص الموارث الذي كان في تعويذ يوسف، وكان من الجنة، أمره جبرئيل عليه السلام أن يرسله إليه فإن فيه ريح الجنة، لا يقع على مبتلي ولا سقيم إلا عوفي<sup>(١)</sup>.

ومن أمثلته أيضاً: تبرّكبني إسرائيل بالتابتون الذي فيه آثار آل موسى وآل هارون، وهو الذي ذكره الله تعالى في

---

(١) الكشاف ج ٢ ص ٥٠٣

قوله حكايةً عن نبيّ بنى إسرائيل الذي بشرهم بطالوت ملكاً: «إِنَّ آيَةً مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ»<sup>(١)</sup>.

وكان هو التابوت الذي أنزله الله على موسى فوضعته فيه أمّه وألقته في اليم، وكان في بنى إسرائيل معظمًا يتبرّكون به، فلما حضرت موسى عليه السلام الوفاة وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آيات النبوة وأودعه يوشع وصيّه، فلم يزل التابوت بينهم حتّى استخفّوا به وكان الصبيان يلعبون به في الطرقات، فلم يزل بنو إسرائيل في عزّ وترف مadam التابوت عندهم، فلما عملوا بالمعاصي واستخفّوا بالتبابوت رفعه الله عنهم، فلما سألوه نبيّهم، بعث الله طالوت عليهم ملكاً يقاتل معهم فرّد الله عليهم التابوت.

قال الزمخشريّ: التابوت صندوق التوراة، وكان موسى

---

(١) سورة البقرة: ٢٤٨

إذا قاتل قدّمه فكانت تسكن نفوس بنى إسرائيل ولا يفترون... قوله: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ﴾.  
هي رضاض الألواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة<sup>(١)</sup>.

فنجد بنى إسرائيل بأمر من نبيّهم يحتفظون بما ترك موسى وهارون، وتسكن إليه نفوسهم لما أخبرهم به من البركة التي اختصّها الله به لكونها من آثار أنبيائهم، حتى إذا استخفوا بهذه الآثار المباركة عاقبهم الله وحرمهم من بركتها، مما يدلّ على قدسيّة هذه الآثار وحلول البركة فيها بإذن الله.

---

(١) الكشاف ج ١ ص ٢٩٣.

## سيرة المسلمين في التبرّك

أوَّلًا :

سيرة الصحابة في التبرّك بالنبي ﷺ في حياته، قال محمد طاهر المكي : فلا جرم إن كان التبرّك بها - آثار الرسول - سنة الصحابة، واقتفي آثارهم في ذلك من نهج نهجهم من التابعين وصلحاء المؤمنين، وقد وقع التبرّك ببعض آثاره ﷺ في عهده وأقرّه ولم ينكر عليه، فدلّ ذلك دلالة قاطعة على مشروعيته، ولو لم يكن مشروعًا لنهى عنه ﷺ وحدّر منه، وكما تدلّ الأخبار الصحيحة وإجماع الصحابة على مشروعيته، تدلّ على قوّة إيمان الصحابة وشدة محبّتهم وموالاتهم ومتابعتهم للرسول الأعظم ﷺ ، على حدّ قول الشاعر :

أمرٌ على الديار ديار سلمى أُقبل ذا الجدار وذا الجدارا  
وما حبّ الديار شغفن قلبي ولكن حبّ من سكن

الديارا<sup>(١)</sup>.

فكان الصحابة يتبرّكون بالنبي ﷺ، بمس جسده الشريف وتقبيل يده، وشرب فضل إنائه، وبماء وضوئه، ونخامته، وشعره وغير ذلك في حياته، ويأتون بأولادهم حال ولادتهم لكي ما يحنّكهم النبي ﷺ ويتبرّك عليهم ويذاع لهم، ومن ذلك ما أخرج مسلم في صحيحه من أن رسول الله ﷺ كان يؤتى إليه بالصبيان فيبرّك عليهم ويحنّكهم<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن حجر: كل مولود في حياة النبي ﷺ يحكم بأنه رآه، وذلك لتوفّر دواعي إحضار الأنصار أولادهم عند النبي ﷺ للتحنيك والتبرّك، حتى قيل: لما افتتحت مكة

---

(١) تبرّك الصحابة بآثار الرسول ص ٧٠.

(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ١٦٤، كتاب الطهارة، باب حكم بول الطفل الرضيع؛ وج ٦ ص ١٧٦، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود.

جعل أهل مكّة يأتون إلى النبي ﷺ بصبيانهم ليمسح على رؤوسهم ويدعو لهم بالبركة<sup>(١)</sup>.

### الروايات الواردة في باب التبرّك بالأحياء:

روى البخاري في صحيحه بسنده عن السائب بن يزيد قال: ذهبت بي خالي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إنّ ابن أخي وجمع (أي أصابه ألم، قال ابن السائب). فمسح ﷺ رأسي ودعا لي بالبركة وتوضّأ وشربت من وضوئه<sup>(٢)</sup>.

وروى أيضاً في صحيحه بسنده عن أبي جحيفة قال: خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء فتوضّأ ثم صلّى الظهر ركعتين والعصر ركعتين وقام الناس فجعلوا يأخذون

---

(١) الإصابة لابن حجر ج ٣ ص ٦٣٨، في ترجمة وليد بن عقبة.

(٢) صحيح البخاري ج ١ ص ٥٦، كتاب الوضوء، باب قبل باب من مضمض واستنشق بغرفة واحدة.

يديه فيمسحون بها وجوههم<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري أيضاً في صحيحه بسنده عن عون بن أبي جحيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ في قبة من أدم ورأيت بلاً أخذ وضوء رسول الله ورأيت الناس يتدرّون ذلك الوضوء فمن أصاب منه شيئاً تمسح به ومن لم يصب منه شيئاً أخذ من بلاً يد صاحبه...<sup>(٢)</sup>.

وهنالك روایات كثيرة في باب التبرّك بالنبي ﷺ وآثاره في حياته وحيث إنّ هذا النوع من التبرّك لا يعدّ شركاً عند الخصم فنكتفي بذكر الأحاديث المتقدّمة.

وقد وردت بذلك أخبار كثيرة نقتطف منها بعضها:

١- عن أم قيس أنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام إلى

---

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٦٥، كتاب بدء الخلق، باب صفة النبي ﷺ.

(٢) صحيح البخاري ج ١ ص ٩٩، كتاب الصلاة، باب الصلاة في النوب الأحمر.

رسول الله ﷺ فأجلسه في حجره فبال على ثوبه، فدعا بماء فوضحه ولم يغسله<sup>(١)</sup>.

قال ابن حجر: وفي هذا الحديث من الفوائد، الندب إلى حسن المعاشرة، والتواضع، والرفق بالصغار، وتحنيك المولود والتبرّك بأهل الفضل، وحمل الأطفال حال الولادة وبعدها<sup>(٢)</sup>.

٢- عن عائشة: كان رسول الله ﷺ يؤتى بالصبيان فيحنّكهم ويربّك عليهم<sup>(٣)</sup>.

٣- عن عبد الرحمن بن عوف قال: ما كان يولد لأحد

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٦٢، كتاب الغسل، باب بول الصبيان. ورواه النسائي في سنته ج ١ ص ٩٣، باب بول الصبي الذي لم يأكل الطعام، والترمذمي في سنته ج ١ ص ١٠٤، وأبو داود في سنته ج ١ ص ٩٣، باب بول الصبي يصيب الثوب، وابن ماجة في سنته ج ١ ص ١٧٤، وغيرهم.

(٢) فتح الباري ج ١ ص ٣٢٦.

(٣) مسند أحمد ج ٧ ص ٣٠٣، ح ٢٥٢٤٣. ورواه ابن حجر في الإصابة ج ١ ص ٥.

مولود إلّا أُتّي به النبيّ فدعا له<sup>(١)</sup>.

٤- عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبي طلحة، عن ظهر محمد بن طلحة قال: لما ولد محمد بن طلحة أتيت به النبيّ ﷺ ليحنّكه ويدعوه، وكذا كان يفعل بالصبيان<sup>(٢)</sup>.

لقد كانت سيرة الصحابة الكرام هي التبرّك بالنبيّ ﷺ وأثاره على الدوام في حياته وبعد مماته، والأخبار في ذلك تضيق عن الحصر، إلّا أنّا سنذكر بعض الأمثلة القليلة عن تبرّك الصحابة به وبآثاره ﷺ، للدلالة على مشروعية التبرّك.

---

(١) المستدرك على الصحيحين ج ٤ ص ٤٧٩. ورواه ابن حجر في الإصابة ج ١ ص ٥.

(٢) الإصابة ج ١ ص ٥.

## **تبرّكهم بجسده الشريف ﷺ :**

روي أنّه ﷺ جاء إلى السوق فوجد زهيرًا قائمًا يبيع متابعاً، فجاء من قبل ظهره وضمّه بيده إلى صدره، فأحسنّ زهير بأنّه رسول الله ﷺ، قال: فجعلت أمسح ظهري في صدره رجاء حصول البركة<sup>(١)</sup>.

## **تبرّكهم بشعره ﷺ :**

١- عن أنس قال: رأيت رسول الله ﷺ والخلق يحلقه وقد أطاف به أصحابه ما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: سيرة دحlan ج ٢ ص ٢٦٧. البداية والنهاية ج ٦ ص ٤٧، وصحّحه وقال: إن رجاله ثقات. مسنن أحمد ج ٣ ص ٩٣٨، حديث ١٢٢٣٧.

تبرّكهم بشعره ﷺ.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ٨٣ ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج ٣ ص ٥٩١، والبيهقي في سننه الكبرى ج ٧ ص ٦٨، والحلبي في



٢- عن عبد الله بن زيد قال: ... فحلق رسول الله ﷺ رأسه في ثوبه وأعطاه فقسم منه على رجال، وقلّم أظفاره فأعطاه صاحبه، قال: فإنّه لعنّدنا مخصوص بالحناء والكتم، يعني شعره <sup>(١)</sup>.

٣- لما نحر رسول الله ﷺ الهدى دعا الحلاق وحضر المسلمون يطلبون من شعر رسول الله ﷺ فأعطي الحلاق شقّ رأسه الأيمن ثمّ أعطاه أبا طلحة الأنباري. وكلمه خالد بن الوليد في ناصيته حين حلق فدفعها إليه، فكان يجعلها في مقدمة قلنسوته، فلا يلقى جمّاً إلّا فضّه <sup>(٢)</sup>.

---

⇒  
سيرته ج ٣ ص ٣٠٣. وابن كثير في البداية والنهاية ج ٥ ص ١٨٩٠،  
 وغيرهم.

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج ١ ص ٢٥، باب في شعر النبي ﷺ. مسند  
أحمد ج ٤ ص ٦٣٠، ح ١٦٠٣٩. مجتمع الروايد ج ٤ ص ١٩٠.  
(٢) مغازي الواقدي ج ٣ ص ١١٠٨٠.

٤- عن أبي بكر أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: مَا كَانَ فَتْحُ أَعْظَمِ  
الإِسْلَامِ مِنْ فَتْحِ الْخَدِيْبَةِ، وَلَكِنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ قَصْرُ رَأْيِهِمْ  
عَمَّا كَانَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَرَبِّهِ... لَقَدْ نَظَرَتْ إِلَى سَهْلِ بْنِ عُمَرَ وَفِي  
حَجَّةِ الْوَدَاعِ قَائِمًاً عَنْدَ الْمَنْحَرِ يَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَنَةِ  
وَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْحِرُهَا بِيَدِهِ، وَدَعَا الْخَلَقَ فَحَلَقَ رَأْسَهُ،  
وَأَنْظَرَ إِلَى سَهْلٍ يَلْتَقِطُ مِنْ شِعْرِهِ، وَأَرَاهُ يَضْعِفُ عَلَى عَيْنِيهِ<sup>(١)</sup>.

تَبَرَّكُهُمْ بِعُرْقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

عَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّ سَلِيمَ كَانَتْ تَبْسِطُ  
لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَطِعًا فَيَقِيلُ عَنْهَا عَلَى ذَلِكَ النَّطِعِ. قَالَ: إِذَا نَامَ  
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْذَتْ مِنْ عُرْقِهِ وَشَعْرِهِ فَجَمَعَتْهُ فِي قَارُورَةٍ ثُمَّ  
جَعَلَتْهُ فِي سُكٍّ<sup>(٢)</sup>.

---

(١) كنز العمال ج ١٠ ص ٤٧٢ ح ٣٠١٣٦٠.

(٢) صحيح البخاري ج ٧ ص ١٤٠، كتاب الاستئذان، باب من زار قوماً فقال  
عندهم: (أي استراح في نصف النهار، ومصدره القيلولة).

قال ابن حجر في شرحه للحديث:

وفي ذكر الشعر غرابة في هذه القصّة، وقد حمله بعضهم على ما ينتشر من شعره ﷺ عند الترجل، ثم رأيت في روایة محمد بن سعد ما يزيل اللبس، فإنّه أخرج بسند صحيح عن ثابت عن أنس أنّ النبي ﷺ لما حلق شعره بمنى أخذ أبو طلحة شعرة فأتى بها أم سليم فجعلته في سكّها. قالت أم سليم: وكان يجيء فيقيل عندي على نطعي فجعلت أسلت العرق<sup>(١)</sup>.

تبرّكهم بما وضوئه ﷺ :

١- عن أبي جحيفة، قال: أتيت النبي ﷺ وهو في قبة حراء من أدم ورأيت بلاً أخذ وضوء النبي ﷺ والناس

---

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٥٩

يتبادرُونَ الوضوءَ فمِنْ أَصَابَ شَيْئاً تَمْسَحُ بِهِ وَمِنْ لَمْ يَصُبْ  
مِنْهُ شَيْئاً أَخْذَ مِنْ بَلْلِ يَدِ صَاحِبِهِ.

وَفِي لُفْظٍ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْهَاجِرَةِ فَأَتَى  
بِوْضَوْءَهُ، فَجَعَلَ النَّاسَ يَأْخُذُونَ مِنْ فَضْلِ وَضْوَئِهِ  
وَيَتَمْسَحُونَ بِهِ<sup>(١)</sup>.

٢- عن ابن شهاب، قال: أخبرني محمود بن الريبع، قال:  
وَهُوَ الَّذِي مَجَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِهِ وَهُوَ غَلامٌ مِنْ  
بَنِيهِمْ. وَقَالَ عُرْوَةُ عَنِ الْمُسْوَرِ وَغَيْرِهِ - يَصُدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ  
مِنْهُمَا صَاحِبَهُ - إِذَا تَوَضَّأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَادُوا يَقْتَلُونَ عَلَى

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٥٥، كتاب الوضوء بباب استعمال فضل وضوء الناس. مسنند أحمد ج ٥ ص ٣٩٨، حديث ١٨٢٦٩. السنن الكبرى للبيهقي ج ١ ص ٣٩٥، باب الالتواء في حيى على الصلاة. دلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ١٨٣. صحيح مسلم ج ١ ص ٣٦٠. سنن النسائي ج ١ ص ٨٧٠

وضوئه<sup>(١)</sup>.

قال ابن حجر في شرحه: و فعله النبي ﷺ مع محمود إما مداعبة أو ليبارك عليه بها كما كان ذلك من شأنه مع أولاد الصحابة<sup>(٢)</sup>.

كما أخرج المحدثون والحفاظ قصة مجيء عروة بن مسعود الثقفي إلى قريش قبل صلح الحديبية، حيث أدهشه عمل الصحابة مع النبي ﷺ، فقال - وهو يحكي ما شاهده من ذلك - لا يتوضأ وضوءاً إلّا ابتدروه، ولا يصدق بصاقاً إلّا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلّا أخذوه - وفي رواية - فوالله ما تنخّم رسول الله ﷺ خاتمة إلّا وقعت في

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٥٥، كتاب الوضوء باب استعمال فضل وضوء الناس، مستند أحمد ج ٦ ص ٥٩٤ حديث ٢٣١٠٩. سنن ابن ماجة ج ١ ص ٢٤٦.

(٢) فتح الباري ج ١ ص ١٥٧، باب متى يصح سماع الصغير.

كَفَّ رَجُلٌ مِّنْهُمْ فَدَلَّكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجَلَّدَهُ، وَإِذَا أَمْرَهُمْ  
ابتدرأوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأُ كَادُوا يَقْتَلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ<sup>(١)</sup>.

٣- عن سعد قال: سمعت عدّة من أصحاب النبي ﷺ  
فيهم أبوأسيد وأبو حميد وأبو سهل ابن سعد يقولون:  
أتى رسول الله ﷺ بئر بضاعة فتوضّأ في الدلو وردد في  
البئر ومجّ في الدلو مرتّة أخرى وبصق فيها وشرب من مائتها،  
وكان إذا مرض المريض في عهده يقول: «اغسلوه من ماء بئر  
بضاعة» فيغسل، فكأنها حلّ من عقال<sup>(٢)</sup>.

٤- عن جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنهما)  
يقول: جاء رسول الله ﷺ يعودني وأنا مريض لا أعقل،

---

(١) انظر: مسند أحمد ج ٥ ص ٤٢٣، حديث طويل ١٨٤٣١. السنن الكبرى  
للبيهقي ج ٩ ص ٢١٩، باب المهادنة على النظر للمسلمين. السيرة الحلبية  
ج ٣ ص ١٨. سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٢٨. المغازي للواقدي ج ٢  
ص ٥٩٨. تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٩٠.

(٢) الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٨٤. سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٢٥.

فتوضّأ وصبّ علىٰ من فضل وضوئه فعقلت<sup>(١)</sup>.

٥- وعنـه أـيضاً قال: إـن النـبـي ﷺ تـوضـأ في طـست  
فـأخذـته فـصـبـيـتـه في بـئـر لـنا<sup>(٢)</sup>.

٦- عنـ أبي مـوسـى قال: دـعا النـبـي ﷺ بـقدـحـ فـيـه مـاء،  
فـغـسـلـ يـدـيـه وـوـجـهـ فـيـه وـمـجـ فـيـه شـمـ قالـ لـهـما: «اـشـرـبـاـ مـنـهـ  
وـأـفـرـغـاـ عـلـىـ جـوـهـكـمـا وـنـحـورـكـمـ»<sup>(٣)</sup>.

قالـ اـبـنـ حـجـرـ: وـالـغـرـضـ بـذـلـكـ - يـعـنيـ المـجـ - إـيجـادـ الـبـرـكـةـ  
فـيـهـ<sup>(٤)</sup>.

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٥٦، كتاب الوضوء، باب صب النبي ﷺ  
وضوئه على المغمى عليه.

(٢) كنز العمال ج ٢ ص ٤٢٢ ح ٣٥٤٧٣٠

(٣) صحيح البخاري ج ١ ص ٥٥، كتاب الوضوء، باب استعمال فضل وضوء  
الناس.

(٤) فتح الباري ج ١ ص ٢٣٦

٧- عن أم هانئ: أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ عَلَيْهِ السَّلَامَ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْفَتْحِ فَأَتَتْهُ بِشَرَابٍ فَشَرَبَ مِنْهُ، ثُمَّ فَضَلَّتْ مِنْهُ فَضْلَةً فَنَوَّلَهَا فَشَرَبَتْهُ ثُمَّ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ فَعَلْتُ شَيْئًا مَا أَدْرِي بِوَافْقِكَ أَمْ لَا، فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ يَا أُمَّ هَانِئَ؟» قَالَتْ: كَنْتُ صَائِمَةً فَكَرِهْتُ أَنْ أَرْدِدَ فَضْلَكَ فَشَرَبَتْهُ.

وفي رواية: لقد شربت وأنا صائمة. قال: «فما حملك على ذلك»؟

قالت: من أجل سؤرك، لم أكن لأدعه لشيء لم أكن أقدر عليه، فلما قدرت عليه شربته<sup>(١)</sup>.

هذه أخبار أخر جها الأئمّة والحافظ للتدليل على سيرة الصحابة الكرام في التبرّك بالنبي ﷺ في حياته، وقد استمرّت هذه السيرة عندهم بعد وفاته ﷺ حيث كان

(١) انظر: مستند أحمد ج ٧ ص ٥٧٥، ح ٢٦٨٣٨. الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ١٠٩٠.

الصحابة يتبرّكون بآثاره فيشربون في الآبار التي شرب منها أو مجّ فيها، ويتبرّكون ببقايا شعره ومنبره وخاتمه وعصاه وقدحه وبقبره الشريف وملابسه ونعله وكلّ ما خلّفه النبي ﷺ من بعده، وقد تابعهم التابعون على ذلك واستمرّت سيرة المسلمين في التبرّك بآثار النبي ﷺ إلى يومنا هذا، والأخبار في ذلك كثيرة جدًا، نكتفي بذكر بعضها.

ثانياً :

تبرّك الصحابة والتابعين بآثار النبي ﷺ بعد وفاته: أفرد البخاري بباباً في: «ما ذكر من درع النبي ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يذكر قسمته، ومن شعره ونعله وأنيته مما تبرّك أصحابه

وغيرهم بعد وفاته»<sup>(١)</sup>.

١- عن عبد الله بن موهب: قال: أرسلني أهلي إلى أم سلمة بقدح من ماء - وقبض إسرائيل ثلاث أصابع - من قصّة فيه شعر من شعر النبي ﷺ، وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء، بعث إليها مخضبه، فاطلعت في الحجل فرأيت شعرات حمراً<sup>(٢)</sup>.

٢- لما حضر معاوية الموت أوصى بأن يدفن في قميص رسول الله وإزاره وردائه وشيء من شعره<sup>(٣)</sup>.

٣- حينما حضرت عمر بن العزيز الوفاة، دعا بشعر من شعر النبي ﷺ وأطفاله وأظفاره وقال: إذا مت فخذوا

---

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٤٦، باب ما ذكر من درع النبي ﷺ وعصاه وسيقه...

(٢) صحيح البخاري ج ٧ ص ٥٧، كتاب اللباس، باب ما يذكر في الشيب.

(٣) انظر: السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٠٩. الإصابة لابن حجر ج ٣ ص ٤٠٠.

تاریخ دمشق ج ٥٩ ص ٢٢٩.

الشعر والأظفار ثم أجعلوه في كفني <sup>(١)</sup>.

٤- جعل في حنوط أنس بن مالك صرّة مسک وشعر من  
شعر رسول الله ﷺ <sup>(٢)</sup>.

٥- أعطى بعض ولد فضل بن الربيع أبا عبد الله (يعني  
أحمد بن حنبل) وهو في الحبس ثلاث شعرات فقال: هذا من  
شعر النبي ﷺ، فأوصى أبو عبد الله عند موته أن يجعل على  
كلّ عين شرة، وشارة على لسانه <sup>(٣)</sup>.

٦- عن ابن سيرين قال: قلت لعبيدة: عندنا من شعر  
النبي ﷺ، أصبهنا من قبل أنس أو من قبل أهل أنس. قال:  
لأن تكون عندي شارة منه أحبّ إلىّ من الدنيا وما فيها <sup>(٤)</sup>.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٤٠٦، ترجمة عمر بن عبد العزيز.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ٢٥، ترجمة أنس بن مالك.

(٣) صفة الصفة لابي الفرج ابن الجوزي ج ٢ ص ٣٥٧٠

(٤) صحيح البخاري ج ١ ص ٥١، كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل  
شعر الإنسان.

٧- ذكر الواقدي أن عائشة سئلت: من أين هذا الشعر الذي عندك؟ قالت: إن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه في حجمته فرق شعره في الناس فأصابنا ما أصاب الناس<sup>(١)</sup>.

### التبّرك بالشرب من قدحه ﷺ :

١- عن سهل بن سعد في حديث، قال: فأقبل النبي ﷺ يومئذ حتى جلس في سقيفةبني ساعدة، هو وأصحابه ثم قال: «اسقنا يا سهل»، فأخرجت لهم هذا القدح فأسقىتهم فيه (قال الراوي): فأخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه، قال: ثم استو هبه عمر بن العزيز بعد ذلك فوهب له<sup>(٢)</sup>.

---

(١) المغازي ج ٣ ص ١١٠٩٠.

(٢) صحيح البخاري ج ٦ ص ٣٥٢، كتاب الأشربة، باب الشرب من قدح النبي ﷺ وآنيته. وصحيح مسلم ج ٦ ص ١٠٣، كتاب الأشربة، باب إباحة النبي لم يشر ولم يصر مسکراً.

٢- عن أنس: إن قدح النبي ﷺ انكسر، فاتخذ مكان الشعب سلسلة من فضة. قال عاصم:رأيت القدح وشربت فيه<sup>(١)</sup>.

٣- قال أبو بردः: قال لي عبد الله بن سلام: ألا أُسقيك في قدح شرب النبي ﷺ فيه<sup>(٢)</sup>.

٤- عن صفية بنت بحرة، قالت: استوهب عمّي فراس من النبي ﷺ قصعة رآه يأكل فيها فأعطاه إياها. قال وكان عمر إذا جائنا قال: أخرجوالي قصعة رسول الله ﷺ، فنخر جها إليه فيملؤها من ماء زمزم فيشرب منها وينضجه على وجهه<sup>(٣)</sup>.

---

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٤٧، كتاب بدأ الخلق، باب ما ذكر في درع النبي ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه.

(٢) صحيح البخاري ج ٦ ص ٣٥٢، كتاب الأشربة، باب الشرب من قدح النبي ﷺ وآنيته.

(٣) الإصابة لابن حجر ج ٣ ص ٢٠٢، ترجمة فراس، رقم ٦٩٧١. أسد الغابة



## تبرّكهم بمواضع يده وفمه ﷺ :

١- في قصة نزول النبي ﷺ في بيته أباً أيوب الأنصاري عندما قدم مهاجرًا إلى المدينة، قال أبو أيوب: وكنا نضع له العشاء ثم نبعث، فإذا رأى علينا فضله تيممت أنا وأمّ أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له بصلًا وثومًا، فردده رسول الله ﷺ ولم أر ليده فيه أثراً، فجئته فزعًا، فقلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي ردت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك؟ فقال: «إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة، وأنا رجل أُنادي فأمامًا أنتم فكلوه...»<sup>(١)</sup>.



لابن الأثير ج ٤ ص ٣٥٢، ترجمة فراس عمّ صفيّة، رقم ٤٢٠٢. كنز

العمال للمتنقي الهندي ج ١٢ ص ٦١٧.

(١) البداية والنهاية لابن الكثیر ج ٣ ص ٢٠١. سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٤٤.

دلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٥١٠.

٢- عن أنس: أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَيْمٍ بَيْتَهَا وَفِي  
الْبَيْتِ قَرْبَةً مَعْلَقَةً فِيهَا مَاءً، فَتَأْوَلَهَا فَشَرَبَ مِنْ فِيهَا وَهُوَ  
قَائِمٌ، فَأَخْذَتْهَا أُمِّ سَلَيْمٍ فَقَطَعَتْ فِيمَنَا فَأَمْسَكَتْهُ عَنْهَا<sup>(١)</sup>.

٣- عن أُمِّ عَامِرٍ - وَاسْمُهَا فَكِيَّهَةُ أَوْ أَسْمَاءُ - بَنْتُ يَزِيدَ بْنَ  
السَّكْنِ قَالَتْ: رَأَيْتِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى  
الْمَغْرِبَ فَجَئَتْ مِنْزِلِي فَجَئَتْهُ بِلَحْمٍ وَأَرْغَفَةً، فَقَلَتْ: تَعَشَّ.  
فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «كُلُوا». فَأَكَلُوا هُوَ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ جَاءُوا...  
قَالَتْ: وَشَرَبَ عَنِّي فِي شَجْبٍ فَأَخْذَتْهُ فَدَهَّنَتْهُ وَطَوَيَتْهُ،  
وَكَنَّا نَسْقِي فِيهِ الْمَرْضِيَّ وَنَشْرَبُ مِنْهُ فِي الْحَيْنِ رَجَاءَ الْبَرَكَةِ<sup>(٢)</sup>.

٤- عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن جدّته كلثوم قالت:

---

(١) مسنـدـ أـحـمـدـ جـ ٧ـ صـ ٥٢٠ـ حـ ٢٦٥٧٤ـ الطـبـقـاتـ الـكـبـرـىـ لـابـنـ سـعـدـ جـ ٨ـ  
صـ ٣١٣ـ.

(٢) الإصـابةـ لـابـنـ حـبـرـ جـ ٤ـ صـ ٤٧١ـ، تـرـجمـةـ أـمـ عـامـرـ، رقمـ ١٣٧٤ـ الطـبـقـاتـ  
الـكـبـرـىـ لـابـنـ سـعـدـ جـ ٨ـ صـ ٢٣٤ـ.

دخل علينا رسول الله ﷺ وعنده قربة معلقة فشرب منها،  
قطعت فم القربة ورفعتها، نبتغي البركة موضع في رسول  
الله ﷺ .<sup>(١)</sup>

**تبرّكهم بعصاهم وملابسهم وخاتمه ﷺ :**

١- عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك: أنه كانت  
عنه عصية لرسول الله ﷺ فمات فدفت معه بين جنبه  
وقميصه .<sup>(٢)</sup>

٢- عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ اتّخذ خاتماً من ذهب  
أو فضة وجعل فصّه مما يلي كفّه ونقش فيه: «محمد رسول  
الله» فاتّخذ الناس مثله، فلما رأهم قد اتّخذوها رمى به، وقال:  
«لا ألبسه أبداً» ثم اتّخذ خاتماً من فضة فاتّخذ الناس خواتيم

---

(١) سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١١٣٢.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٦٠.

الفضّة. قال ابن عمر: فلبس الخاتم بعد النبي ﷺ أبو بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان حتى وقع من عثمان في بئر أرييس<sup>(١)</sup>.

٣- عن سهل بن سعد، قال: جاءت امرأة ببردة...،

قالت: يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها، فأخذها رسول الله ﷺ محتاجاً إليها، فخرج إلينا وإليها لازاره، فجسّها رجل من القوم، فقال: يا رسول الله أكسينيها؟ قال: «نعم»، فجلس ما شاء الله في المجلس، ثمّ رجع فطواها ثمّ أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت، سألتها إياه وقد عرفت أنه لا يرد سائلاً، فقال الرجل: والله ما سألتها إلا لتكون كفني يوم الموت. قال سهل: فكانت كفنه<sup>(٢)</sup>.

---

(١) صحيح البخاري ج ٧ ص ٥٥، كتاب اللباس، باب خاتم الفضة.

(٢) صحيح البخاري ج ٧ ص ١٨٩، كتاب اللباس، باب البرود والحرارة والشملة.

قال ابن حجر: وفي رواية أبي غسان، فقال: «رجوت  
بركتها حين لبسها النبي ﷺ ...»  
وقال في شرحه: ما يستفاد من الحديث وفيه التبرّك بآثار  
الصالحين.

وقال: أفاد المحبّ الطبريّ في (الأحكام) له: إِنَّهُ عبد  
الرحمن بن عوف، وعزاه للطبراني. ولم أره في (المعجم  
الكبير)، لا في مسند سهل ولا عبد الرحمن، ونقله شيخنا ابن  
الملقن عن المحبّ في (شرح العمدة)، وكذا قال لنا شيخنا  
الحافظ أبو الحسن الهيثميّ إِنَّهُ وقف عليه لكن لم يستحضر  
مكانه، ووقع لشيخنا ابن الملقن في (شرح التنبيه) أنه سهل  
بن سعد وهو غلط، ثم نقل عن الطبراني إِنَّه سعد بن أبي  
وقدّاص، وعنده أيضاً في رواية إِنَّه أعرابيٌّ<sup>(١)</sup>.

٤- أراد معاوية بن أبي سفيان أن يشتري من كعب بن

---

(١) فتح الباري ج ٣ ص ١٤٤.

زهير بردة رسول الله ﷺ، التي ألقاها عليه بعد إسلامه عشرة آلاف درهم، فأبى كعب وقال: ما كنت لأُثر بثوب رسول الله أحداً. فلما مات بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألف درهم، فأخذها منهم. هي البردة التي كانت عند السلاطين، وهي التي يلبسها الخلفاء في الأعياد<sup>(١)</sup>.

٥- عن أم عطية الأنصارية، قالت: دخل علينا رسول الله ﷺ حين توفيت ابنته، فقال: «اغسلنّها ثلاثة أو خمساً أو أكثر من ذلك إن رأيْتُ ذلك بماء وسدر، واجعلنَّ في الآخرة كافوراً أو شيئاً من كافور فإذا فرغتُنَّ فآذنني»، فلما فرغنا آذنناه فأعطانا حِقوَة، فقال: ((أشعرْتَها إِيَّاهَا)) تعني

---

(١) انظر: كتاب تبرك الصحابة للشيخ محمد طاهر المكي ص ١٧. تاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤١٢. السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٤٢. تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٩.

إزاره<sup>(١)</sup>.

٦- عن محمد بن جابر، قال: سمعت أبي يذكر عن جدّي أنه أَوْلَ وفَدْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ، فوجده يغسل رأسه، فقال: ((اقعد يا أخا أهل اليمامة فاغسل رأسك)) فغسلت رأسي بفضلة غسل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... فقلت: يا رسول الله أعطني قطعة من قميصك أستأنس بها، فأعطياني. قال محمد بن جابر: فحدّثني أبي أمّها كانت عندنا نغسلها للمريض يستشفى بها<sup>(٢)</sup>.

٧- عن عيسى بن طهمان، قال: أخرج إلينا أنس بنعليين لهما قباليان، فسمعت ثابت البُناني يقول: هذه نعل

---

(١) صحيح البخاري ج ٢ ص ٧٤، كتاب الجنائز، باب يجعل الكافور في آخره، صحيح مسلم ج ٢ ص ٦٤٧.

(٢) الإصابة لابن حجر ج ٢ ص ١٠٢، ترجمة سياويس طلق اليماني، رقم

النبي ﷺ .<sup>(١)</sup>

التبّرك بمنبره ﷺ :

لقد أوضح النبي ﷺ لأمته أنّ منبره قدسيّة خاصّة لا ينبغي التجاوز عليها، لذا فقد سنّ تحريم اليمين على منبره كذبًا، فقال: «من حلف على منبري كاذبًا ولو على سواك أراك فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(٢)</sup>.

وعن جابر: قال رسول الله ﷺ : «أيّها أمرئ من المسلمين حلف عند منبري على يمين كاذبة يستحقّ بها حُقْ مسلم، أدخله الله النار وإن كان على سواك أخضر»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٥٠، كتاب اللباس، باب قبائلان في النعل ومن رأى قبلاً واسعاً.

(٢) انظر: مسنند أحمد ج ٤ ص ٣٥٧ ح ١٤٦٠٦. فتح الباري ج ٥ ص ٢١٠. الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٠.

(٣) كنز العمال ج ١٦ ص ٦٩٧ ح ٤٦٣٨٩.

وقد أدرك الصحابة ذلك، فنجد زيد بن ثابت يأبى أن يحلف على المنبر عندما قضى عليه مروان بذلك، وقال: احلف له مكانى، فجعل زيد يحلف وأبى أن يحلف على المنبر، فجعل مروان يعجب منه<sup>(١)</sup>.

لذا نجد الصحابة يعرفون لهذا المنبر قدسيّته وبركته، فنجد لهم يقصدونه ويمسحون أيديهم برمانته وبمقعد رسول الله ﷺ منه، ويضعونها على وجوههم تبرّكاً بها. فعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد القاري: أَلَّا نظر إلى ابن عمر وضع يده على مقعد النبي ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه<sup>(٢)</sup>.

وعن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال: رأيت ناساً من

---

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٦٠ كتاب الشهادات، باب يحلف المدعى عليه حينما وجبت عليه اليمين.

(٢) انظر: الطبقات لابن سعد ج ١ ص ٢٥٤، ذكر منبر الرسول ﷺ.

أصحاب النبي ﷺ إذا خلا المسجد أخذوا برمانة المنبر  
الصلعاء التي تلي القبر بمسامنهم ثم استقبلوا القبلة  
يدعون<sup>(١)</sup>.

وعن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال سألت أبي عن الرجل  
يمسّ منبر النبي ويتبرّك بمسّه ويقبّله ويفعل بالقبر مثل ذلك  
أو نحو هذا يريد بذلك التقرب إلى الله جلّ وعزّ؟ فقال: «لا  
يأس بذلك»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن حجر في باب تقبيل حجر الأسود ما هذا نصّ  
عبارته: استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الأركان جواز  
تقبيل كلّ من يستحق التعظيم من آدميّ وغيره، فأمّا تقبيل  
يد الآدميّ فيأتي في كتاب الأدب، وأمّا غيره فنقل عن الإمام  
أحمد أنه سُئل عن تقبيل منبر النبي ﷺ وتقبيل قبره فلم ير

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٥٤، ذكر منبر الرسول ﷺ.

(٢) العلل ومعرفة الرجال ج ٢ ص ٤٩٢.

به بأساً...<sup>(١)</sup>.

### تبرّكهم بقبره الشريف ﷺ :

لقد كان دأب المسلمين منذ وفاة النبي ﷺ على مر العصور والي يومنا هذا، هو التبرّك بقبر النبي ﷺ والاستسقاء به والاستشفاء بترتبته، على ذلك تصافق المسلمون بكافة طوائفهم جيلاً بعد جيل، ولم يشدّ عن ذلك إلا دعاء السلفية، وفي طليعتهم ابن تيمية الحرّاني الذي ادعى بأنّ السلف الصالح لم يعرفوا ذلك ولم يقرّوه! إلا أنّ عمل المسلمين - وفيهم كبار الصحابة والتبعين وعدد لا يستهان به من علمائهم الأفذاذ ومحدثيهم - ينفي تلك الادعاءات ويبطلها، فمن الشواهد على دأب المسلمين - وفي مقدمتهم الصحابة - على التبرّك بقبر النبي ﷺ :

---

(١) فتح الباري ج ٣ ص ٣٨٠.

١- عن داود بن صالح، قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واعضاً وجهه على القبر فقال: أتدرى ما تصنع! فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب! فقال: نعم، جئت رسول الله ﷺ ولم آتِ الحجر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تبكون على الدين إذا ولية أهله، ولكن ابكون عليه إذا ولية غير أهله»<sup>(١)</sup>.

٢- عن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب علّيَّهُ السلام قال: قدم علينا أعرابيّ بعدهما دفناً رسول الله ﷺ ثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبر النبي ﷺ وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله، قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله سبحانه فهو علينا عنك، وكان فيما أنزل عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ

---

(١) انظر: المعجم الأوسط ج ١ ص ٩٤. الجامع الصغير للسيوطى ص ٧٢٨  
كنز العمال ج ٦ ص ٨٨ ح ١٤٩٦٧. مجمع الزوائد للهيثمي ج ٤ ص ٢٢،  
وفاء الوفا للسمهودي ج ٢ ص ٤١٠، شفاء الأقسام للسبكي ص ١٥٢.

ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ... ﴿ الآية . وقد ظلمت نفسي وجئتك  
 تستغفر لي . فنودي من القبر «قد غفر الله لك» وحثا من ترابه  
 على رأسه <sup>(١)</sup> .

٣- أخرج الحافظ ابن عساكر في التحفة من طريق طاهر

بن يحيى الحسيني قال: حدّثني أبي عن جدّي عن جعفر بن  
 محمد عن أبيه عن علي عليهما السلام قال: لما رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 جاءت فاطمة عليها السلام فوقت على قبره صلى الله عليه وسلم وأخذت قبضة  
 من تراب القبر ووضعتها على عينيها، وبكت وأنشأت  
 تقول:

---

(١) الروض الفائق للحريفيش ص ٣٨٠. المawahب اللدنية للفسطلاني ج ٤  
 ص ٥٨٣. مشارق الأنوار ج ١ ص ١٢١. وفاء الوفا ج ٤ ص ١٣٩٩. كنز  
 العمال ج ٢ ص ٣٨٦ ح ٤٣٢٢؛ وج ٤: ص ٢٥٩ ح ١٠٤٢٢.

ما ذا على من شمَّ تربةَ أَحْمَدَ  
أَنْ لَا يشَمَّ مُدِي الزَّمَانِ غَوَالِيَا

صُبِّتْ عَلَيَّ مَصَابِّ لَوْ أَنْهَا

صُبِّتْ عَلَى الْأَيَامِ عُدْنَ لِيَالِيَا<sup>(١)</sup>

٤- ذكر الخطيب ابن جماعة أن عبد الله بن عمر كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف، وأن بلاً وضع خديه عليه أيضاً. ورأيت في كتاب السؤالات لعبد الله بن أحمد بن حنبل - وذكر ما تقدم عن ابن جماعة - ثم قال: ولا شك أن الاستغراق في المحبة يحمل على الإذن في ذلك، والمقصود من

---

(١) وفاة الوفا في فضائل المصطفى لابن الجوزي ص ٨١٩ ح ١٥٣٨. السيرة النبوية لابن سيد الناس ج ٢ ص ٤٣٢. المواهب اللدنية للقسطلاني ج ٤ ص ٥٦٣. شرح الشمائل للقاري ج ٢ ص ٢١٠. الإتحاف للشبراوي ص ٣٣٠. وفاة الوفا للسمهودي ج ٤ ص ١٤٠٥. سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٢ ص ١٣٤ وغيرهم.

ذلك كله الاحترام والتعظيم، والناس تختلف مراتبهم في ذلك كما كانت تختلف في حياته، فأناس حين يرونـه لا يملكون أنفسـهم بل يـبادرـونـ إلـيـهـ، وأـنـاسـ فـيـهـمـ أـنـاـةـ  
ـبـتـأـخـرـوـنـ، وـالـكـلـ مـحـلـ خـيـرـ<sup>(١)</sup>.

٥- عن أبي الدرداء قال: إِنْ بَلَالًاً مُؤْذِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ رَأَى  
في منامه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وهو يقول: «ما هذه الجفوة يا  
بلال! أما آن لك أن تزورني يا بلال»؟! فانتبه حزيناً خائفاً،  
فركب راحلته وقصد المدينة، فأتى قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ فجعل  
بيكـيـ عـنـهـ وـيـمـرـغـ وـجـهـ عـلـيـهـ، فأـقـبـلـ الحـسـنـ وـالـحـسـينـ عـلـيـهـاـ  
ـفـجـعـلـ يـضـمـهـاـ وـيـقـبـلـهـاـ<sup>(٢)</sup>.

(١) وفـاءـ الـوـفـاـ لـلـسـمـهـوـدـيـ جـ ٤ـ صـ ١٤٠٥ـ.

(٢) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٧ ص ١٣٧. مختصر تاريخ دمشق ج ٤ ص ١١٨؛ وج ٥ ص ٢٦٥. تهذيب الكمال للزمي ج ٤ ص ٢٨٩. أسد الغابة لابن الأثير ج ١ ص ٢٤٤. وفـاءـ الـوـفـاـ لـلـسـمـهـوـدـيـ جـ ٤ـ صـ ١٣٥٦ـ. شفاء



٦- قال السمهودي: كانوا يأخذون من تراب القبر، فأمرت عائشة فضرب عليهم، وكانت في الجدار كوة فكانوا يأخذون منها، فأمرت بالكوة فسدّت<sup>(١)</sup>.

٧- ذكر السمهودي أن الناس كانوا يتبرّكون بالصلاحة إلى القبر (يعني قبر النبي ﷺ)، قال: عن هشام بن عروة قال: أخبرني أبي قال كان الناس يصلّون إلى القبر، فأمر به عمر بن عبد العزيز فرفع حتّى لا يصلّي إليه أحد<sup>(٢)</sup>.

٨- كان ابن المنكدر - وهو أحد أعلام التابعين - يجلس مع أصحابه، قال: وكان يصيّبه الصّمات، فكان يقوم كما هو ويضع خدّه على قبر النبي ﷺ ثم يرجع، فعُوّتب في ذلك



السقام للسيكي ص ٥٣، مشارق الأنوار للصغاني ج ١ ص ١٢١.

(١) وفاة الوفاج ١ ص ٥٤٤.

(٢) وفاة الوفاج ٢ ص ٥٤٧.

فقال: إنّه ليصيّبني خطرة، فإذا وجدت ذلك استشفيت بقبر النبي ﷺ، وكان يأتي موضعاً من المسجد في الصحن فيتمّغ فيه ويضطجع، فقيل له في ذلك، فقال: إنّي رأيت النبي ﷺ في هذا الموضع. يعني في النوم<sup>(١)</sup>.

قال ابن قدامة الحنفي في المغني: ويستحب الدفن في المقبرة التي يكثر فيها الصالحون والشهداء لتناوله بركتهم، وكذلك في البقاع الشريفة.

هذه هي السنة التي دأب عليها الصحابة والتابعون في التبرّك بقبر النبي ﷺ والاستشفاء بترتبته، ولم يخالفهم فيها إلاّ ولادة بنى أمية الظلمة من أمثال مروان بن الحكم طريد رسول الله ﷺ الذي لعنه الله وهو في صلب أبيه، كما أخبرت بذلك عائشة وعبد الله بن الزبير<sup>(٢)</sup>.

---

(١) وفاة الوفاج ٢ ج ٤٤ ص ٤٤.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٥ ص ٢٤١. الاستيعاب لابن عبد البر ج ٣



فأين عمل المشركين من عمل المسلمين الموحدين الذين يعتقدون أنَّ الخير كُلُّه من عند الله سبحانه وتعالى. وأنَّ بركاته تنزل بإذنه هو، مع إخباره في كتابه العزيز عن وجود مخلوقات له جعل فيها خصوصية وجعلها مباركة، ولأنَّه سبحانه يحب هذه المخلوقات المباركة، فقد أكرمها بأن جعلها سبباً لاستجابة دعاء المخلوقين بتوسلهم بها لكرامتها عند الله؟!

ولعلَّ خير ما يمثل عقيدة أهل السنة في التبرك هو قول الخليفة العباسيِّ المأمون للقاضي يحيى بن أكثم: وإنَّ الرجل ليأتيني بالقطعة من العود أو بالخشبة أو بالشيء الذي لعل قيمته لا تكون إلَّا درهماً أو نحوه، فيقول: إنَّ هذا كان



ص ٤٢٥، في ترجمة مروان بن الحكم. أسد الغابة لابن الأثير ج ٥ ص ١٤٤، في ترجمة مروان بن الحكم رقم ٤٨٤١. السنن الكبرى للنسائيِّ ج ٦ ص ٤٨٥.

للنبي ﷺ، أو قد وضع النبي ﷺ يده عليه، أو بأسافله، أو مسّه، وما هو عندي بشقة ولا دليل على صدق الرجل، إلّا أني بفترط النية والمحبة أقبل ذلك فأشتريه بألف دينار وأقلّ وأكثر، ثمّ أضعه على وجهي وعيني وأتبرّك بالنظر إليه وبمسّه، فأستشفى به عند المرض يصيّبني أو يصيب من أهتمّ به، فأصونه كصيانتي لنفسي، وإنّما هو عود لم يفعل هو شيئاً ولا فضيلة له تستوجب به المحبة إلّا ما ذكر من مسّ رسول الله ﷺ له<sup>(١)</sup>.

فالمأمون كان يعلم أنّ هذا العود لا ينفع ولا يضرّ بذاته، ولكنّه يقدّسه إكراماً للنبي ﷺ، وكذلك هي عقيدة المسلمين، فأين من ذلك عقيدة المشركين!

---

(١) انظر: تاريخ بغداد لابن طيفور ج ١ ص ٤٥.

## تبرّك الصحابة بأماكن صلى فيها النبي ﷺ :

روى البخاريّ بسنده عن موسى بن عقبة قال:رأيت سالم بن عبد الله يتحرّى أماكن من الطريق فيصلي فيها. وبحدث أنّ أباه كان يصلي فيها، وأنّه رأى النبي ﷺ يصلي في تلك الأمكنة<sup>(١)</sup>.

ومنها ما رواه البخاريّ أيضاً بسنده عن نافع عن ابن عمر أنّه كان يصلي في تلك الأمكانة، وسألت سالماً فلا أعلمه إلاّ وافق نافعاً في الأمكانة كلّها إلاّ أنّ همَا اختلفا في مسجد بشرف الروحاء<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر في شرحه للحديث: عُرف من صنيع ابن عمر استحباب تتبع آثار النبي ﷺ والتبرّك بها<sup>(٣)</sup>.

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ١٣٠، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة.

(٢) صحيح البخاري ج ١ ص ١٣٠، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة.

(٣) فتح الباري ج ١ ص ٤٦٩.

وقال ابن عبد البر<sup>ر</sup>: كان (ابن عمر)؛ كثير الاتّباع لآثار رسول الله ﷺ . . . وكان يتقدّم في المواقف بعرفة وغيرها إلى الموضع التي كان النبي ﷺ وقف بها<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الأثير: إنَّ عبد الله بن عمر كان كثير الاتّباع لآثار رسول الله ﷺ حتّى آتَه ينزل منازله ويصلّي في كلّ مكان صلّى فيه، وحتّى أنَّ النبي ﷺ نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهدها بالماء لثلاً تيس<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن نافع: أنَّ عبد الله بن عمر كان ينبع بالطحاء التي بذى الخليفة التي كان رسول الله ﷺ ينبع بها ويصلّى بها<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الاستيعاب ج ٢ ص ٣٤٢، بهامش الإصابة، ترجمة عبد الله بن عمر.

(٢) أسد الغابة ج ٣ ص ٣٤٠، ترجمة عبد الله بن عمر، رقم ٣٠٨٠.

(٣) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٠٢، كتاب الحج، باب لا يحج المشرك ولا يطوف بالبيت. ورواه أحمد بن حنبل في مسنده ج ٢ ص ٢٦٩.

وقال الواقدي: وعن أفلح بن حميد، عن أبيه قال: كان ابن عمر يخبر أنّ النبي ﷺ جلس تحت السمرة، وأنّ ابن عمر كان يصبّ الأدوة تحتها في أصل السمرة يريده بقاءها<sup>(١)</sup>.

فلو كان عمل ابن عمر غير جائز، لأنّكر عليه الصحابة ذلك ونحوه عنه.

وروى البخاري في صحيحه: أنّ عتبان بن مالك - وهو من أصحاب رسول الله ﷺ من شهد بدرًا من الأنصار - آتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، قد أنكرت بصري، وأنا أصلي لقومي، فإذا كانت الأمطار، سال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، وددت يا رسول الله آتاك تأتيني فتصلي في بيتي، فأنجزه مصلٍّ. قال: فقال له رسول الله ﷺ: «سأفعل إن شاء الله».

---

(١) كتاب مغازي للواقدي ج ٢ ص ١٠٩٦، باب حجّة الوداع.

قال عتبان: فغدا رسول الله ﷺ وأبو بكر حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له، فلم يجلس حين دخل البيت، ثم قال: «أين تحب أن أصلّي من بيتك»؟ قال: فأشرت له إلى ناحية من البيت، فقام رسول الله ﷺ فكبّر، فقمّنا فصفقنا، فصلّى ركعتين ثم سلم<sup>(١)</sup>.

لا شك أن رغبة الصحابي عتبان في تأدية الصلاة جماعة في بيته هو أحد الأسباب لدعوة النبي ﷺ في بيته، ولكن المستفاد من الحديث أنه ليست كلها ذلك، فإن رغبته في التبرّك بموضع صلاة الرسول ﷺ واضحة. وقد فهم النبي ﷺ رغبة عتبان بهذه، لذا ابتدره بالسؤال عن المكان الذي يحب أن يصلّي له فيه من بيته، ولو كان الأمر غير ذلك، لصلّى النبي ﷺ في أي مكان من البيت يصلح لذلك.

---

(١) انظر: صحيح البخاري ج ١ ص ١٠٩، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، وج ١ ص ٢٠٤، كتاب الصلاة، باب الذكر بعد الصلاة.

ومن جهة ثانية، إن رغبة الصحابي عتبان في إصابة عين القبلة لا ينهض بحجّة، إذ لو كان عتبان لا يبصر جيداً فقد كان في مقدور أهله أو غيره من الصحابة أن يدلّوه عليهما، ولما احتاج الأمر لأن يصلّي النبي ﷺ ركعتين في ذلك الموضع.

وأيضاً مما يؤيد ذلك قول ابن حجر في شرحه للحديث واليّك نصّ عبارته: وإنما استأذن النبي ﷺ لأنّه دُعى للصلوة ليتبرّك صاحب البيت بمكان صلاته، فسأله ليصلّي في البقعة التي يجب تخصيصها بذلك<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: في حديث عتبان وسؤاله النبي ﷺ أن يصلّي في بيته ليتّخذه مصلّي وأجابه النبي ﷺ إلى ذلك، فهو حجّة في التبرّك بآثار الصالحين<sup>(٢)</sup>.

---

(١) فتح الباري ج ١ ص ٤٣٣.

(٢) فتح الباري ج ١ ص ٤٦٩٠.

وإذا كان طلب عتبان من النبي ﷺ الصلاة في بيته  
لأسباب أخرى، فبماذا نفسّر طلب أم سليم وغيرها من  
الصحابة من النبي ﷺ الصلاة في بيوتهم، فيما أخرج  
المحدثون، وكما يأتي:

- ١- عن أنس بن مالك : أنّ أم سليم سألت رسول الله ﷺ أن يأتيها ف يصلّي في بيتها فتتّخذه مصلّى ، فأتاهما ، فعمدت إلى حصير فنضحته بهاء فصلّى عليه وصلوا معه <sup>(١)</sup> .
- ٢- عنه أيضاً قال: صنع بعض عمومتي طعاماً فقال للنبي ﷺ: إني أحب أن تأكل في بيتي وتصلّي . قال: فأتاه وفي البيت فحل من هذه الفحول، فأمر بناحية منه فكنس ورش ، فصلّى وصلّينا معه <sup>(٢)</sup> .

(١) سنن النسائي ج ١ ص ٢٦٨، كتاب المساجد، باب ٤٣ الصلاة على الحصير، ح ٨١٦

(٢) سنن ابن ماجة ج ١ ص ٢٤٩، كتاب المساجد، باب المساجد في الدور،



٣- وعنـه أـيضاً، قال: كان رـجـلـ ضـخمـ لا يـسـتـطـعـ أنـ يـصـلـيـ معـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـاـتـهـ فـقـالـ لـنـبـيـ صـلـاـتـهـ: إـنـيـ لـاـ أـسـتـطـعـ أـنـ أـصـلـيـ مـعـكـ، فـلـوـ أـتـيـتـ مـنـزـلـيـ فـاقـتـدـيـ بـكـ. فـصـنـعـ الرـجـلـ طـعـامـاً ثـمـ دـعـاـ النـبـيـ صـلـاـتـهـ، فـنـضـحـ طـرـفـ حـصـيرـ هـمـ فـصـلـيـ النـبـيـ صـلـاـتـهـ رـكـعـتـينـ .<sup>(١)</sup>

فـهـلـ كـانـ مـقـصـودـ أـمـ سـلـيمـ أـنـ تـؤـمـ الـمـسـلـمـينـ فـيـ بـيـتـهـاـ مـشـلـ عـتـبـانـ عـنـدـمـاـ طـلـبـتـ مـنـ النـبـيـ صـلـاـتـهـ أـنـ يـصـلـيـ فـيـ بـيـتـهـاـ، أـمـ أـنـهـ طـلـبـتـهـ لـلـتـبـرـكـ بـالـصـلـاـةـ فـيـ الـمـوـضـعـ الـذـيـ يـصـلـيـ فـيـهـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـاـتـهـ؟



حـ ٧٥٦ـ، وـالـفـحـلـ هـوـ الـحـصـيرـ الـذـيـ قـدـ اـسـوـدـ. وـفـيـ مـسـنـدـ أـحـمـدـ بـنـ حـنـبـلـ جـ ٣ـ صـ ١٣٠ـ بـسـنـدـيـنـ. مـسـنـدـ أـئـمـسـ بـنـ مـالـكـ، حـ ١١٩٢٠ـ .  
(١) مـسـنـدـ الـإـمـامـ أـحـمـدـ جـ ٣ـ صـ ٥٨٦ـ، حـ ١١٩٢٠ـ .

## **التبرّك بالصحابة والصالحين :**

تبين ممّا سبق أن لا خلاف بين طوائف المسلمين في جواز التبرّك بالنبي ﷺ في حياته، وبآثاره بعد موته. وأنّ ما احتجّ به الشاذون في ذلك مردود، يكذّبه فعل الصحابة أنفسهم. إلّا أنّ الخلاف وقع في جواز التبرّك بغير النبي ﷺ من الصحابة والتابعين والصالحين.

فقد جوّز بعض علماء المسلمين ذلك، بينما منعه آخرون، وأدلة المانعين تقوم على أساس أنّ الصحابة لم يتبرّكوا ببعضهم، ولا يتبرّك التابعون بهم، فدلل ترکهم ذلك على عدم جوازه.

إلّا أنّ الادّعاء بعدم تبرّك الصحابة ببعضهم، وكذلك بآل الرسول ﷺ غير صحيح، فهناك شواهد صحيحة على حدوث ذلك، وقد استند بعض كبار علماء المسلمين إلى ذلك في تجويز التبرّك ليس بالصحابة والتابعين فحسب، بل بكلّ أهل الخير والصلاح.

ومن المجوزين القاتلين بذلك، النووي الذي استند إلى بعض الروايات الصحيحة في استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس واستسقاء بعض الصحابة ببعض الصالحين منهم، قال: ويستسقى بالخيار من أقرباء رسول الله ﷺ، لأنّ عمر استسقى بالعباس وقال: اللهم إنا كنّا إذا قحطنا توسلنا إليك بنبيّنا فتسقينا، وإنّا نتوسل بعّم نبينا فاسقنا فيسوقون.

ويستسقى بأهل الصلاح لما رُوي أنّ معاوية استسقى بيزيد ابن الأسود فقال: اللهم إنا نستسقى بخيرنا وأفضلنا، اللهم إنا نستسقى بيزيد بن الأسود. يا يزيد ارفع يديك إلى الله تعالى، فرفع يديه ورفع الناس أيديهم، فثارت سحابة من المغرب كأنّها ترس، وهبّ لها ريح، فسقوا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم <sup>(١)</sup>.

---

(١) المجموع شرح المهدّب للنووي ج ٥ ص ٦٨، كتاب الصلاة، باب صلاة الاستسقاء.

وقال ابن حجر: أخرجه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه  
بسند صحيح، ورواه أبو القاسم اللالكائي في السنة في  
كرامات الأولياء.

ثم استدلّ ابن حجر العسقلاني بحادثة استسقاء عمر  
بالعباس على جواز التبرّك والاستشفاف ببعض الأخيار  
فقال: ويستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاف بأهل  
الخير والصلاح وأهل بيت النبوة<sup>(١)</sup>.

ومن أمثلة تبرّك الصحابة ببعضهم وتبرّك التابعين  
بهم:

١- روى عبد الله بن مسعود أنّ عمر بن الخطّاب خرج  
يستسقي بالعباس فقال: اللّهم إنا نتقرّب إليك بعمّ نبيّك  
وفقية آبائه وكبار رجاله، فإنّك قلت وقولك الحق: (وَأَمّا  
الْجِدَارُ فَكَانَ لِعْلَامَيْنِ يَتَيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ... ) الآية، فحفظتهما

---

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٣٩٩

لصلاح أبيهِما، فاحفظ الله نبِيّك بعْمَه فقد دلونا به إلَيْك  
مستشفعين ومستغرين... الحديث<sup>(١)</sup>.

وفي لفظ: وروَيْنا من وجوه عن عمر آنَه خرج يستسقي  
وخرج معه العَبَّاس فقال: اللَّهُمَّ إِنَا نتَقْرَبُ إِلَيْكَ بعْمَ  
نبِيّكَ سَلَّمَ ونستشفع به فاحفظ فيَه نبِيّكَ كَمَا حفظت  
الغلامين لصلاح أبيهِما وأتيناكَ مستغرين ومستشفعين.

ثُمَّ أقبل على الناس فقال: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ  
غََفَّارًا﴾ - إلى أن قال - : فنشأت طريرة من سحاب فقال  
الناس: ترون ترون! ثُمَّ تلائمت واستتممت ومشت فيها ريح  
ثُمَّ هزَّت ودرَّت، فوالله ما برحوا حتى أعلقوا الجدر  
وقلصوا المأزر وطفق الناس بالعَبَّاس يتمسّحون أركانه

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٧ ص ٢٧٤، شرح الخطبة ١١٤  
باب أخبار وأحاديث في الاستسقاء. وكتاب اقتضاء الصراط المستقيم  
لابن تيمية ص ٣٣٨.

ويقولون: هنيئاً لك ساقى الحرمين.

وفي لفظ ابن الأثير: ولما سقى الناس طفقوا يتمسّحون

بالعباس ويقولون: هنيئاً لك ساقى الحرمين، وكان الصحابة

يعرفون للعباس فضله ويقدّمونه ويشاورونه<sup>(١)</sup>.

٢- الحسن البصريّ، حنّكه عمر بيده، وكانت أمّه تخدم أمّ

سلمة زوج النبي ﷺ فربما غابت فتعطّيه أمّ سلمة ثديها

تعلّله بها إلى أن تجيء أمّه، فيدرّ عليه ثديها فيشربه، فكانوا

يقولون فصاحتُه ببركة ذلك<sup>(٢)</sup>.

٣- قال السمهوديّ - عند ذكره لأسطوان المحرس - :

كان عليّ بن أبي طالب يجلس في صفحتها التي تلي القبر مما

يلي باب رسول الله ﷺ يحرس النبي ﷺ . ونقل عن

المطري قال: وهو مقابل الخوخة التي كان النبي ﷺ يخرج

---

(١) أسد الغابة ج ٣ ص ١٦٧، ترجمة عيّاس بن عبد المطلب، رقم ٢٧٩٧.

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي ج ٣ ص ٤٧.

منها إذا كان في بيت عائشة إلى الروضة للصلوة، وهي الأسطوان الذي يصلي عندها أمير المدينة، يجعلها خلف ظهره، ولذا قال الأقشرى: إنَّ أَسْطُوانَ مَصْلٍ عَلَيْهِ عَلَشَانِيَةَ الْيَوْمِ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ تَخْفَى عَلَى أَهْلِ الْحَرَمِ، ويقصد الأمراء الجلوس والصلوة عندها إلى اليوم، وذكر أنه يقال لها: مجلس القلادة، لشرف من كان يجلس فيه<sup>(١)</sup>.

ونقل عن مسلم بن أبي مريم وغيره، أنه كان باب بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ في المربعة التي في القبر. قال سليمان: قال لي مسلم: لا تنس حظك من الصلاة إليها فإما باب فاطمة (رضي الله عنها) الذي كان على يدخل عليها منه<sup>(٢)</sup>.

---

(١) وفاء الوفا للسمهودي ج ٢ ص ٤٤٨.

(٢) وفاء الوفا للسمهودي ج ٢ ص ٤٥٠.

وفي حديثه عن أسطوان التهجد قال: كان رسول الله ﷺ يخرج حصيراً كل ليلة إذا انكفت الناس فيطرح  
وراء بيت عليٍّ ثم يصلّي صلاة الليل ...

وحدثني سعيد بن عبد الله بن فضيل قال: مرّ بي محمد بن الحنفية وأنا أصلّي إليها فقال لي: أراك تلزم هذه الأسطوانة، هل جاءك فيه أثر؟ قلت: لا، قال: فالزمها فإنّها كانت مصلّى رسول الله ﷺ من الليل ...

قال ابن النجاشي: فعلى هذا جمّع سوراً مسجد النبي ﷺ يستحب الصلاة عندها لأنّه لا يخلو أنّ كبار الصحابة صلوا إليها<sup>(١)</sup>.

٤- لما خطب عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب علّيَّهُ السلام - على ما رُوي عن بعضهم - قال: إني

---

(١) وفاء الوفا للسمهودي ج ٢ ص ٤٥٢.

أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ عَنِّي عَضْوٌ مِّنْ أَعْصَمَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>.

٥- لَا خَرَجَ الْحَسِينُ بْنُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَدِينَةِ يَرِيدُ مَكَّةَ، مَرَّ بِابْنِ مَطِيعٍ وَهُوَ يَحْفَرُ بَئْرَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي؟! قَالَ: «أَرَدْتُ مَكَّةَ» - وَذَكَرَ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَيْهِ شِيعَتَهُ بِالْكُوفَةِ -، فَقَالَ لَهُ ابْنُ مَطِيعٍ: فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، مَتَّعْنَا بِنَفْسِكَ وَلَا تَسْرِ إِلَيْهِمْ. فَأَبَى الْحَسِينُ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ مَطِيعٍ: إِنَّ بَئْرِي هَذِهِ قَدْ رَشَحْتَهَا، وَهَذَا الْيَوْمُ أَوَانُ مَا خَرَجَ إِلَيْنَا فِي الدَّلْوِ شَيْءٌ مِّنْ مَاءٍ، فَلَوْ دَعَوْتَ اللَّهَ لَنَا بِالْبَرَكَةِ. قَالَ: «هَاتِ مِنْ مَائِهَا»، فَأَتَى مِنْ مَائِهَا فَشَرَبَ مِنْهُ ثَمَّ مَضْمِضَ ثَمَّ رَدَّهُ فِي الْبَئْرِ فَأُعَذِّبَ وَأُمَّهِي<sup>(٢)</sup>.

٦- لَا بَلَغَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ مِنْ مُوسَى الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ «نِيْساْبُور»،

---

(١) ذَخَائِرُ الْعُقَبَى لِمَحْبَّ الدِّينِ الطَّبَرِيِّ ص١٦٩، الْفَصْلُ الثَّامِنُ فِي ذِكْرِ أَمِّ

كَلْثُومِ بْنَتِ فَاطِمَةِ وَعَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ.

(٢) الطَّبَقَاتُ الْكَبْرَى لِابْنِ سَعْدٍ ج٥ ص١٠٧.

واجتمع الناس حول دابتة، أخرج رأسه من المحمل  
وشاهده الناس، فهم بين صارخ وباك ومزق ثوبه ومتمزغ  
في التراب ومقبل لحافر بغلته أو مقبل حزام بغلته<sup>(١)</sup>.

بل إنّ النبي ﷺ قد تبرّك بوضوء المسلمين، كما وردت  
بذلك الأخبار الصحيحة، فعن ابن عمر، قال: قلت يا  
رسول الله، أتوّضأ من جرّ جديد مخمر أحّب إليك، أم من  
المطاهر؟ قال: «لا، بل من المطاهر، إنّ دين الله يسّر الحنفية  
السمحة». قال: وكان رسول الله ﷺ يبعث إلى المطاهر  
فيؤتى بالماء فيشربه، يرجو بركة أيدي المسلمين<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر: الصواعق المحرقة ص ٣١٠، الفصل الثالث في الأحاديث الواردة  
في بغض أهل البيت... عليه السلام. نور الأ بصار للشبلنجي ص ١٦٨، فصل في  
مناقب الإمام علي بن موسى الرضا.

(٢) انظر: مجمع الزوائد للهيثمي ج ١ ص ٢١٤، وقال: رواه الطبراني في  
الأوسط ورجاله موثقون. كنز العمال ج ٧ ص ١١٢ ح ١٨٢٣١.

ثم إنّه بعد أن أثبّتنا تبرّك الصحابة والتابعين ببعضهم وبالصالحين من الأمة، فإنّ عدم أمر النبي ﷺ بالتبرّك بغيره، يقابله أيضاً عدم نهيّه عن ذلك، فلو كان في الأمر محظوظ أو خطورة على عقائد المسلمين لما أغفل النبي ﷺ عنه، ولكن نهى عنه بكلّ شدّة. وذلك بيّن في قول النبي ﷺ عن عمرو بن العاص، أنّ النبي ﷺ قال: «إنه لم يكننبي قبلي إلاّ كان حقاً عليه أن يدلّ أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شرّ ما يعلمه لهم...»<sup>(١)</sup>. فهل ينافق النبي ﷺ - حاشاه - نفسه ويخفي هذا الأمر الذي فيه فساد الأمة دون أن يبيّنه لهم!

---

(١) انظر: صحيح مسلم ج ٣ ص ١٤٧٢ كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول.

## **التبرّك بقبور الصالحين وآثارهم :**

لم يقتصر عمل المسلمين على التبرّك بقبر النبي ﷺ وأثاره من بعد موته، بل كان ديدنهم هو التبرّك بقبور الصحابة والتابعين وصلحاء الأمة وآثارهم، والاستشفاء والاستسقاء بها أيضاً، ومن ذلك:

### **١- بلال الحبشي :**

مؤذن رسول الله ﷺ، قبره بدمشق، وفي رأس القبر المبارك تاريخ باسمه، والدعاء في هذا الموضع المبارك مستجاب، وقد جرّب ذلك كثير من الأولياء وأهل الخير المتبرّكين بزيارتهم<sup>(١)</sup>.

### **٢- أبو أيوب الأنصاري :**

قال الحاكم: يتعاهدون قبره ويزورونه ويستسقون به إذا

(١) انظر رحلة ابن جبیر ص ٢٥١.

قطعوا<sup>(١)</sup>.

### ٣- صهيب الروميّ:

قال السمهوديّ: إنّهم جربوا تراب قبر صهيب  
للحُمَى<sup>(٢)</sup>.

### ٤- مزة بن عبد المطلب:

نقل السمهوديّ قول الزركشيّ: ثم استثنى في عدم جواز  
حمل تراب المدينة إلى غيرها - لكونها حرماً - تربة حمزة (رضي  
الله عنه)، لإطباقي الناس على نقلها للتداوي<sup>(٣)</sup>.

وقال صالح بن عبد الحليم: سمعت عبد السلام بن يزيد  
الصنهاجي يقول: سألت أحمد بن يكوت عن تراب المقابر

---

(١) انظر: المستدرك للحاكم ج ٣ ص ٥١٨. وصفة الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص ٤٠٧.

(٢) وفاء الوفا للسمهودي ج ١ ص ٦٩.

(٣) وفاء الوفا للسمهودي ج ١ ص ١١٦.

الذي كان الناس يحملونه للتبرّك، هل يجوز أو يمنع؟ فقال:  
هو جائز، وما زال الناس يتبرّكون بقبور العلماء والشهداء  
والصالحين، وكان الناس يحملون تراب قبر سيدنا حمزة بن  
عبد المطلب في القديم من الزمان<sup>(١)</sup>.

#### ٥- الحسين بن علي عليهما السلام :

عقد الشبراوي باباً كبيراً في مشهد رأس الحسين بن  
علي عليهما السلام، وذكر فيه زيارته وشطراً من الكرامات له وإحياء  
يوم الثلاثاء بزيارته، قال:  
والبركات في هذا المشهد مشاهدة مرئية، والنفحات  
العادية على زائره غير خفية، وهي بصحة الدعوى مليئة  
والأعمال بالنية، ولأبي الخطاب بن دحية في ذلك جزء لطيف  
مؤلف، واستفتني القاضي زكي الدين عبد العظيم في ذلك،

---

(١) انظر وفاء الوفاج ١ ص ٣٠.

فقال: «هذا مكان شريف وبركته ظاهرة والاعتقاد فيه خير، والسلام». وما أجر هذا المشهد الشريف والضريح الأنور المنيف بقول القائل:

نفسي الفداء لمشهد أسراره من دونها ستر النبوة مسبل  
ورواق عز فيه أشرف بقعة ظلت تحار لها العقول وتذهب  
تفضي لجبهته النواذير هيبة ويرد عنه طرفه المتأمل  
حسدت مكانته النجوم فوّدلو أمسى يجاوره السماءك  
الأعزل  
وسما علوًّا أن تقبل تربة شفة فأضحي بالجباه يقبل<sup>(١)</sup>.

٦- عمر بن عبد العزيز، الخليفة الأموي - المتوفى سنة ١٠١ هـ -

قال الذهبي: قبره بدير سمعان يزار<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر: الإتحاف بحب الأشراف للشبراوي ص ١٢.

(٢) انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١٢١.

## ٧- عليّ بن موسى الرضا عليه السلام :

قال أبو بكر محمد بن المؤمل: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة وعديله أبي علي الثقفي، مع جماعة من مشايخنا وهم إذ ذاك متواдовون إلى زيارة عليّ بن موسى الرضا بطوس. قال: فرأيت من تعظيمه - يعني ابن خزيمة - لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرّعه عندها ما تخيّرنا<sup>(١)</sup>.

كما وأخرج الخطيب البغدادي بإسناده عن أحمد بن جعفر ابن حдан القطبي قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال شيخ الخنابلة في عصره يقول: ما همني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلّا سهل الله تعالى لي ما أحبّ!<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٧ ص ٣٣٩.

(٢) تاريخ بغداد ج ١ ص ١٢٠.

٨- قال العلامة أحمد بن محمد المقرى المالكي -  
المتوفى سنة ١٠٤١ هـ :

في (فتح المتعال في مدح النعال)، نقلًا عن ولي الدين العراقي، قال: أخبر الحافظ أبو سعيد بن العلا، قال: رأيت في كلام أحمد بن حنبل في جزء قديم عليه خط ابن ناصر (هو الحافظ محمد بن ناصر أبو الفضل البغدادي - المتوفى سنة ٥٠٥ هـ - قال: ابن الجوزي في المنظم ج ١٨: ص ٤٢٠١ رقم ١٠٣: كان حافظاً متلقناً ثقة لا مغمز فيه).  
وأنَّ أحمد حنبل سئل عن تقبيل قبر النبي ﷺ وتقبيل منبره، فقال: لا بأس بذلك!

قال: فأريناه التقي ابن تيمية فصار يتعجب من ذلك ويقول: عجبت من أحمد عندي جليل! هذا كلامه أو معنى كلامه. وقال: وأي عجب في ذلك وقد روينا عن الإمام أحمد أنه غسل قميصاً للشافعي وشرب الماء الذي غسله

به<sup>(١)</sup>.

وإذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم فما بالك بمقادير  
الصحابة! وكيف بآثار الأنبياء عليهن السلام، وما أحسن قول مجذون  
ليلي:

أمرُ على الديار ديار ليلى أقبلَ ذا الجدار وذا الجدارا  
وما حبَّ الديار شغفن قلبي ولكن حبَّ من سكن  
الديارا<sup>(٢)</sup>.

قال القاضي عياض المالكي في الشفاء:  
وجدير بمواطن عمرت بالوحى والتنزيل وتردد بها  
جبرئيل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح،  
وضجّت عرصاتها بالتقديس والتسبيح، واشتملت تربتها

---

(١) انظر: مناقب أحمد بن حنبل لابن الجوزي ص ٦٠٩. والبداية والنهاية  
لابن كثير ج ١٠ ص ٣٦٥، في حوادث سنة ٢٤١ هـ.

(٢) انظر: فتح المتعال لأبي العباس المقرى ص ٣٢٩.

على جسد سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة نبيه ما انتشر، مدارس وآيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين ومشاعر المسلمين، ومواقف سيد المرسلين ومتبواً خاتم النبيين، حيث انفجرت النبوة، وأين فاض عبادها، ومواطن مهبط الرسالة، وأول أرض مسّ جلد المصطفى تراها، أن تعظّم عرصاتها وتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها<sup>(١)</sup>.

فهذه هي سيرة المسلمين خلفاً عن سلف، وهذه مواقف شيخ الحنابلة الذي يدعى ابن تيمية وأتباعه أنهم تلاميذه في التبرّك بآثار الصالحين والأولياء، وليس لهم من حجّة يحتجّون بها، سوى أن ذلك التبرّك ربما يقود إلى الشرك

---

(١) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ج ٢ ص ١٣١.

وتاليه الشخص المتبرّك به! الذي تبيّن خلافه بالأدلة معتبرة  
عندهم.

التمسح بالمتبرّك به، وهو موضوع المسع والتمسح  
بالأشخاص والأشياء المتبرّك بهم.

ولا ندرى بأى دليل يحتج هؤلاء الجهال على عدم  
مشروعية التمسح بالمتبرّك به؟ فليس لديهم من حديث ولا  
أثر يرکن إليه ليثبت صحة دعواهم الفارغة، بينما تدل كلّ  
الآثار على خطل آرائهم.

لقد مرّ بنا فيما سبق أنّ الصحابة كانوا يمسكون رمانة  
منبر النبي ﷺ بميامنهم ثم يدعون<sup>(١)</sup>.  
 وأنّ ابن عمر الصحابي كان يمسح بيده على مكان  
جلوس النبي ﷺ من المنبر ثم يمسح بها وجهه<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ج ٢ ص ٨٦

(٢) انظر: أسد الغابة ج ٣ ص ٣٤٠، ترجمة عبد الله بن عمر، رقم ٣٠٨٠

وفي صحيح البخاري أن عبد الله بن عمر كان يتحرّى  
قصد أماكن من طرق المدينة فيصلي فيها، وأنه رأى  
النبي ﷺ يصلّي فيها<sup>(١)</sup>.

ففي المصنف عن ابن جريج قال: أخبرني محمد بن المرتفع  
أنه رأى ابن الزبير وعمر بن عبد العزيز إذا استلما مسحًا  
وجوههما بأيديهما<sup>(٢)</sup>.

وإذا ثبت التبرّك بملامسة الكعبة والحجر الأسود  
فالمؤمن لا سيّما إذا كان عالماً أو ولیاً من أولياء الله أعظم  
حرمة من الكعبة فالتبّرك بقبره ليس شركاً أو بدعة أو وسيلة  
للشرك - كما يقول المخالفون - بل هو جائز.

فعن عائشة: أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله، يمسح

---

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ١٢٤، كتاب الصلاة، باب المساجد التي على طرق المدينة.

(٢) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج ٥ ص ٤٢ ح ٨٩٣٠

يده اليمنى ويقول: «اللّهُمَّ ربُّ الناس، أذهب البأس، اشفه وأنت الشافي، لا شفاء إلّا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً...»<sup>(١)</sup>.

وعنها أيضاً: أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ كان يقول للمريض: «بسم الله، تربة أرضينا، بريقة بعضنا، يشفى سقيمنا، بإذن ربنا»<sup>(٢)</sup>.

وقال السمهودي: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ إذا اشتكى الإنسان أو كانت به قرحة أو جرح، قال بإاصبعه هكذا، ووضع سبابته بالأرض ثم رفعها وقال: «بسم الله، تربة أرضنا بريق بعضنا يشفى سقيمنا بإذن الله»<sup>(٣)</sup>.

عن أبي حازم، أَنَّهُ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ

---

(١) صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٤، كتاب المرضى والطب، باب رقية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ.

(٢) صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٤، كتاب الطب، باب النفث في الرقية.

(٣) وفاء الوفا للسمهودي ج ١ ص ٦٩.

اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْأَوْلَيْنَ قَالَ يَوْمَ خَيْرٍ: «لَا عَطَيْنَاهُ هَذِهِ الرَايَةَ غَدَارًا رَجَلًا يُفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدِيهِ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ». قَالَ: فَبَاتِ النَّاسُ يَدْعُونَ لِيَلْتَهُمْ أَئِمَّهُمْ يُعْطِاهُمَا فَلِمَا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ كَلَّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطِاهُمَا، قَالَ فَقَالَ: أَينَ عَلَيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ؟ فَقَالَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنِيهِ، قَالَ: فَأَرْسِلُوهُ إِلَيْهِ، فَأَتَى بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ فِي عَيْنِيهِ وَدَعَا لَهُ فَبِرًا حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجْعٌ فَأَعْطَاهُ الرَايَةَ...<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٠، كتاب الدعاء، باب فضل من أسلم على يديه رجل، وج ٤ ص ٢٠٧، كتاب الفضائل، باب مناقب علي بن أبي طالب عليهما السلام. مسنـد أحمد ج ٥ ص ٣٣٣. مجمع الزوائد للهـشـمي ج ٦ ص ١٥٠، باب غزوة خـير، وكتاب السنـة لأبي عاصـم ص ٥٩٤. السنـن الـكـبرـى للـنسـائـى ج ٥ ص ٤٦ و ١٠٨، كتاب المناقب، فضـائل عـلـيـ بنـ أـبـي طـالـبـ. مـسـنـدـ أـبـيـ يـعلـىـ ج ١ ص ٢٩١. المعـجمـ الـكـبـيرـ للـطـبرـانـيـ ج ٦ ص ١٥٢.

إن كلّ هذا يوضح بعض الأمور، منها: أن النبي ﷺ لم يكن يكتفي بالدعاء بل كان يمسح على عضو المريض أيضاً إذا كان للاستشفاء ويمسح على الرأس إذا كان للبركة، فلابد إذاً من خصوصية للمسح.

ومنها أيضاً: أننا وجدنا في الروايات المتقدمة أن النبي ﷺ كان يدعو للاستشفاء بالتربة، وفي الأخبار هذه ما يدل على أمره بخلط التربة بالريق أيضاً لكي تتحقق البركة والشفاء بإذن الله، مما يدل على خصوصية معينة لتربة المدينة المنورة في جعلها سبباً للشفاء بإذن الله لما فيها من البركة التي اختصها الله بها. والآثار النبوية في ذلك كثيرة نذكر منها قوله ﷺ: «غبار المدينة شفاء من الجذام»<sup>(١)</sup>. ومنها قوله ﷺ: «غبار المدينة يبرئ الجذام»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الجامع الصغير ج ٢ ص ١٩٧ ح ٥٧٥٣.

(٢) الجامع الصغير ج ٢ ص ١٩٧ ح ٥٧٥٤.

ومنها قوله ﷺ: «غبار المدينة يطفئ الجذام»<sup>(١)</sup>.

ومنها قوله ﷺ: «إِنَّ فِي غَبَارِهَا شَفَاءً مِّنْ كُلِّ دَاءٍ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها قوله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ تَرْبَتْهَا لَمْؤْمِنَةٌ وَإِنَّهَا شَفَاءٌ مِّنَ الْجَذَامِ»<sup>(٣)</sup>.

أفلا تدلّ هذه الروايات على خصوصية أودعها الله تعالى في بعض الأماكن حتى صارت تربتها وغبارها شفاء من الأسمام المستعصية بإذن الله، وإذا كان خلط هذه التربة بالريق والاستشفاء بها من أمر النبي ﷺ، فكيف لا يجوز التبرّك بهذه التربة الشريفة إذن.

وما هي خصوصية الحجر الأسود، وبعض أركان الكعبة، حتى يتهاf المُسلمون بالملايين على لمسها اقتداء

---

(١) الجامع الصغير ج ٢ ص ١٩٧ ح ٥٧٥٥.

(٢) كنز العمال ج ١٣ ص ٢٠٥. وفاء الوفا ج ١ ص ٦٧.

(٣) كنز العمال ج ١٣ ص ٢٠٥. وفاء الوفا ج ١ ص ٦٧.

بالنبيِّ الكريم ﷺ، أوَ لا يكفي زيارَةُ الْبَيْتِ دون لمس  
شيءٍ منه إِنْ كَانَ ادْعَاءُهُؤلاءَ صَحِيحًا؟!  
أَوْ لَيْسَ مَعْنَى كُلِّ هَذَا أَنَّ لِبعضِ الْأَماْكِنِ قَدْسِيَّةً خَاصَّةً  
أَوْ دُعْهَا اللَّهُ فِيهَا، وَأَنَّ الْبَرَكَةَ فِي تِرْبَتِهَا وَغَبَارِهَا، فَلَمْ يَجِدْ  
الْتَّمَسْحَ بِهَا وَتَقْبِيلَهَا طَلْبًا لِلْبَرَكَةِ إِذْنًا؟!  
فِيَتِيَّنَّ مِنْ كُلِّ ذَلِكِ أَنَّ التَّبَرِّكَ أَمْرٌ قدْ أَقْرَرَهُ الشَّارِعُ  
الْعَظِيمُ، وَعَمِلَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَمِنْهُمْ نَبِيُّنَا ﷺ، وَلَمْ يَأْتِنَا  
أَثْرٌ يَبْثُتُ أَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى أَوْ نَبِيُّهُ ﷺ قَدْ نَهَيَا عَنْ  
شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ قَطًّا، فَالْمُسْلِمُونَ إِذْنَ ظَلَّتْ سِيرَتَهُمْ مِنْذَ عَهْدِ  
النَّبِيِّ ﷺ عَلَى التَّبَرِّكِ بِهِ حَيًّا، وَبِآثَارِهِ مِيتًّا، وَتَبَرِّكَ الصَّحَابَةُ  
بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَصَلَّوْا فِي الْأَماْكِنِ الَّتِي صَلَّى فِيهَا  
النَّبِيُّ ﷺ طَلْبًا لِبَرَكَتِهَا، وَظَلَّ ذَلِكَ دَأْبُ الْمُسْلِمِينَ جِيلًا بَعْدِ  
جِيلٍ، يَتَلَقَّوْنَ فِيَوضَاتِ الْبَرَكَاتِ الإِلهِيَّةِ دونَ أَنْ يَخَافُوا  
عَقَائِدُهُمْ شَرِكٌ وَلَا ضَلَالٌ، وَدونَ أَنْ يَعْدِمَ أَحَدُهُمْ إِلَى تَأْلِيهِ  
شَخْصٌ أَوْ شَيْءٌ مَتَبَرِّكٌ بِهِ، بَلْ ظَلَّوْا عَلَى مِرْ القَرُونِ مُوحَّدِينَ

لله سبحانه وتعالى، معتقدين بأنه وحده القادر على كل شيء، وعلى إنزال البركات، وأن تبرّكهم بمخلوقاته ليس إلا من باب الحب لله والحب لمن يحبّهم ويحبّونه، ولا شيء غير ذلك مما يدعوه الجهال.

### التبرّك عند أهل البيت عليهما السلام

بعد أن أثبتنا في المباحث المتقدمة، مشروعية التبرّك عند جميع طوائف المسلمين، وإقرار النبي ﷺ له، وأثبتنا أنّ دأب الصحابة والتابعين الأخيار كان الاستمرار على هذا النهج في التبرّك بآثار النبي ﷺ وبأهل بيته علیهم السلام و حتى بالصالحين من هذه الأمة، لابد أن نورد بعض الأخبار حول التبرّك عند أهل بيته علیهم السلام وحثّهم عليه وترغيبهم فيه:

### تبرّكهم بقبر النبي ﷺ

١- لما حانت وفاة الإمام الحسن بن علي علیهم السلام، أوصى إلى أخيه الحسين علیهم السلام، فكان مما أوصاه به، أنه قال: «إذا قضيت

نحبي فغمضني وغسلني وكفني وأدخلني على سريري إلى قبر جدي رسول الله ﷺ لأجدد به عهداً، ثم رددني إلى قبر جدي فاطمة (بنت أسد) رضي الله عنها فادفني هناك»<sup>(١)</sup>.

٢ - عن محمد بن مسعود، قال: رأيت أبا عبد الله الصادق ع عليهما السلام انتهى إلى قبر النبي ﷺ، فوضع يده عليه<sup>(٢)</sup>.

٣ - عن ابن فضال، قال: رأيت أبا الحسن ع عليهما السلام وهو يريد أن يودع للخروج إلى العمرة، فأتى القبر من موضع رأس رسول الله ﷺ، بعد المغرب، فسلم على النبي ﷺ، ولرق بالقبر<sup>(٣)</sup>.

٤ - لما عزم الإمام الحسين ع عليهما السلام الخروج من مكة - بعد موت معاوية - خرج من منزله ذات ليلة وأقبل إلى قبر

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ١٥٦.

(٢) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ١٥٤.

(٣) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ١٥٧.

جده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «السلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين بن فاطمة فرخك وابن فرختك»، ثم جعل يبكي عند القبر، حتى إذا كان قريباً من الصبح، وضع رأسه على القبر فأغفى <sup>(١)</sup>.

٥- عن الرضي عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «لما أردت الخروج من المدينة إلى خراسان، جمعت عياله فأمرتهم أن يبکوا علي حتى أسمع بكاءهم، ثم فرقـتـ فـيـهـمـ اـثـنـيـ عـشـرـ أـلـفـ دـيـنـارـ، ثـمـ قـلـتـ لـهـمـ: إـنـيـ لـاـ أـرـجـعـ إـلـىـ عـيـالـيـ أـبـدـاـ، ثـمـ أـخـذـتـ أـبـاـ جـعـفرـ فـأـدـخـلـتـهـ المسـجـدـ وـوـضـعـتـ يـدـهـ عـلـىـ حـافـةـ الـقـبـرـ وـأـصـقـتـهـ بـهـ، واستحفظـتـهـ بـرـسـولـ اللهـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» <sup>(٢)</sup>.

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٢٨. الفتوح لابن أثيم ج ٥ ص ٢٦.

(٢) الأنوار البهية للشيخ عباس القمي ص ١١٠.

## تبرّكهم بآثار بعضهم عليهما السلام

١ - عن سليمان بن خالد و محمد بن مسلم قالا: مضينا إلى الحيرة فاستأذنا ودخلنا إلى أبي عبد الله عليهما السلام فجلسنا إليه وسألنا عن أمير المؤمنين عليهما السلام فقال: «إذا خرجم فجزيتم الثويبة والقائم وصرتم من التجف على غلوة أو غلوتين،رأيتم ذكوات بيضاً بينها قبر قد جرفه السيل، ذاك قبر أمير المؤمنين عليهما السلام». قال: فغدونا من غد فجزنا الثويبة والقائم، وإذا ذكوات بيض فجئناها، فإذا القبر كما وصف قد جرفه السيل، فنزلنا فسلّمنا وصلّينا عنده ثم انصرفنا، فلما كان من الغد غدونا إلى أبي عبد الله عليهما السلام فوصفنا له فقال: «أصبتكم، أصاب الله بكم الرشاد»<sup>(١)</sup>.

٢ - عن أبان بن تغلب قال: كنت مع أبي عبد الله عليهما السلام، فمرّ بظهر قبر فنزل فصلّى ركعتين، ثم تقدّم قليلاً فصلّى

---

(١) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٢٣٧.

ركعتين، ثم سار قليلاً فنزل فصل ركعتين، ثم قال: «هذا  
موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام»، قلت: جعلت فداك، فما  
الموضعين اللذين صلّيت فيهما؟ قال: «موضع رأس  
الحسين عليه السلام، وموضع منبر القائم»<sup>(١)</sup>.

٣- كان أهل البيت عليهم السلام يتبرّكون بحجر في بيت  
فاطمة عليها السلام، وعن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: «ولدت  
فاطمة عليها السلام الحسن والحسين على ذلك الحجر. أو كانت  
فاطمة تصلي إليها»<sup>(٢)</sup>.

### التبرّك والاستشفاء بتربة الحسين عليه السلام

١- عن أبي اليسع، قال: «سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام وأنا  
أسمع عن الغسل إذا آتى قبر الحسين عليه السلام، قال: اجعله قبلة  
إذا صلّيت؟ قال: «تنح هكذا ناحية». قال: آخذ من طين

---

(١) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٣٤١.

(٢) وفاء الوفا للسمهودي ج ١ ص ٥٧٢.

قبره ويكون عندي أطلب بركته؟ قال: «نعم»، أو قال: «لا  
بأس بذلك»<sup>(١)</sup>.

٢- عن أبي يعفور، قال: «قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ: يأخذ  
الإنسان من طين قبر الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ فيتقن به ويأخذه غيره فلا  
يتقن به، فقال: «لا والله، لا يأخذه أحد وهو يرى أنَّ الله  
ينفعه به إِلَّا نفعه به»<sup>(٢)</sup>.

٣- عن الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ تَرْبَةَ الْحَسِينِ عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ  
شَفَاءً مِّنْ كُلِّ دَاءٍ، وَأَمَانًا مِّنْ كُلِّ خَوْفٍ، فَإِذَا أَخْدَهَا أَحَدُكُمْ  
فَلِيَقْبَلَهَا وَلِيَضْعِفَهَا عَلَى عَيْنِهِ وَلِيَمْرِّهَا عَلَى جَسْدِهِ»<sup>(٣)</sup>.

٤- عن اليقطيني، قال: «بعث إلى أبو الحسن الرضا عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ  
رزم ثياب وغلماناً - إلى أن قال -، فلما أردت أن أعيث الشياب

---

(١) بحار الأنوار ج ٨٣ ص ٣٢٠.

(٢) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١١٩. وسائل الشيعة ج ١٠ ص ٤٠٩.

(٣) بحار الأنوار ج ٨٣ ص ٢٧٦.

رأيت في أضعاف الثياب طيناً، فقلت للرسول ما هذا؟  
فقال: ليس توجّه بمتاع إلّا جعل فيه طيناً من قبر  
الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ، ثم قال الرسول: قال أبو الحسن عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ: «هو  
أمان بإذن الله» <sup>(١)</sup>.

٥- سأّل رجل أبا عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ: «آخذ من طين قبر  
الحسين يكون عندي أطلب بركته؟ قال: «لا بأس بذلك» <sup>(٢)</sup>.  
٦- إن الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ مرض فأمر من عنده أن يستأجروا له  
أجيرًا يدعوه عند قبر الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ، فوجدوا رجلاً فقالوا له  
ذلك، فقال: أنا أمضي، ولكن الحسين إمام مفترض الطاعة،  
وهو إمام مفترض الطاعة! فرجعوا إلى الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ  
وأخبروه، فقال: «هو كما قال، ولكن ما عرف أن الله بقاعاً

---

(١) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٥٢٣ ب ٧٠، من أبواب المزار ح ٦.

(٢) الوسائل ج ١٠ ص ١٥٤، البحار ج ١٠١ ص ١٢٥.

يستجاب فيها الدعاء، فتلك البقعة من تلك البقاء»<sup>(١)</sup>.

٧- عن أبي الحسن عَلِيُّهُ الْكَاظِمِيِّ، قال: «ما على أحدكم إذا دفن الميت ووسده بالتراب، أن يضع مقابل وجهه لبنة من طين الحسين عَلِيُّهُ الْكَاظِمِيِّ ولا يضعها تحت رأسه»<sup>(٢)</sup>.

٨- كان لأبي عبد الله الصادق عَلِيُّهُ الْكَاظِمِيِّ خريطة ديباج صفراء فيها تربة أبي عبد الله الحسين عَلِيُّهُ الْكَاظِمِيِّ، فكان إذا حضرت الصلاة صبه على سجادة وسجد عليه، ثم قال: «السجود على تربة الحسين عَلِيُّهُ الْكَاظِمِيِّ يحرق الحجب السبع»<sup>(٣)</sup>.

٩- عن الصادق جعفر بن محمد عَلِيُّهُ الْكَاظِمِيِّ قال: «إن فاطمة بنت رسول الله عَلِيُّهُ الْكَاظِمِيِّ، كانت سبّحتها من خيط صوف مقتول معقود عليه عدد التكبيرات، وكانت عَلِيُّهُ الْكَاظِمِيِّ تديرها بيدها، تكبر

---

(١) الوسائل ج ١٠ ص ٤٢١ - ٤٢٢.

(٢) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١٣٦.

(٣) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١٣٥.

وتسبّح، حتّى قتل حمزة بن عبد المطلب، فاستعملت تربته  
و عملت التسابيح، فاستعملها الناس، فلما قتل الحسين  
(صلوات الله عليه)، عدل بالأمر إليه، فاستعملوا تربته لما  
فيه من الفضل والمزيّة<sup>(١)</sup>.

١٠ - سُئل أبا عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُونِيَّةُ عن استعمال التربتين من طين  
قبر حمزة وقبر الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، والتفاضل بينهما، فقال عَلَيْهِ الْكَلَمُونِيَّةُ :  
«السبحة التي هي من طين قبر الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُونِيَّةُ تسبّح بيد الرجل  
من غير أن يسبّح»<sup>(٢)</sup>.

١١ - عن الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُونِيَّةُ : «من أدار الحجير من تربة  
الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُونِيَّةُ فاستغفر مّرة واحدة كتب الله له سبعين مّرة،  
وإن مسك السبحة ولم يسبّح بها، ففي كل حبة منها سبع

---

(١) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١٣٣.

(٢) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١٣٣.

مرّات»<sup>(١)</sup>.

١٢- عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر و جعفر بن محمد عليهما السلام يقولان: «إن الله عَوْضُ الحسین عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِهِ أَنَّ الْإِمَامَةَ فِي ذرِيَّتِهِ وَالشَّفَاءَ فِي تَرْبِتِهِ وَإِجَابَةَ الدُّعَاءِ عِنْ قَبْرِهِ»<sup>(٢)</sup>.

١٣- عن ابن عباس، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ بِقَتْلِ الْحُسَيْن عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَنْ قَالَ: «أَلَا وَإِنَّ الْإِجَابَةَ تَحْتَ قَبْتِهِ، وَالشَّفَاءَ فِي تَرْبِتِهِ، وَالْأَئْمَمَةُ مِنْ وَلَدِهِ»<sup>(٣)</sup>.

١٤- عن الحارث بن المغيرة قال: «قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنِّي رَجُلٌ كَثِيرُ الْعُلُلِ وَالْأَمْرَاضِ وَمَا تَرَكْتُ دُواءً إِلَّا تَداوَيْتُ بِهِ، فَقَالَ لِي: «أَيْنَ أَنْتَ عَنْ طِينِ قَبْرِ الْحُسَيْن عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّ

---

(١) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١٣٦.

(٢) الوسائل ج ١٠ ص ٣٢٩.

(٣) الوسائل ج ١٠ ص ٢٩٠. كفاية الأثر للخزاز ص ٣٥٢.

فيه شفاء من كُل داء، وأمناً من كُل خوف، فإذا أخذته فقل  
هذا الكلام (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك بِحَقِّ هَذِهِ الطِّينَةِ، وَبِحَقِّ  
الْمَلَكِ الَّذِي أَخْذَهَا، وَبِحَقِّ النَّبِيِّ الَّذِي قَبَضَهَا، وَبِحَقِّ  
الْوَصِيِّ الَّذِي حَلَّ فِيهَا، صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ  
بَيْتِهِ، وَافْعُلْ بِي كَذَا وَكَذَا)»<sup>(١)</sup>.

١٥ - عن محمد بن مسلم: أنه كان مريضاً، فبعث إليه أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ بشراب فشربه، فكأنما نشط من عقال، فدخل عليه فقال: «كيف وجدت الشراب»؟ فقال: لقد كنت آيساً من نفسي فشربته فأقبلت إليك فكأنما نشطت من عقال. فقال: «يا محمد، إن الشراب الذي شربته كان فيه من طين قبور آبائي، وهو أفضل ما نستشفى به فلا تعدل به، فإننا نسقيه صبياننا ونسائنا فنرى منه كُل خير»<sup>(٢)</sup>.

(١) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١١٨.

(٢) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١١٨.

١٦- عن الصادق علیه السلام: «حنکوا أولادكم بتربة الحسين  
فإنما أمان»<sup>(١)</sup>.

١٧- عن الصادق علیه السلام: «في طين قبر الحسين علیه السلام الشفاء  
من كل داء، وهو الدواء الأكبر»<sup>(٢)</sup>.

١٨- عن أبي عبد الله علیه السلام قال: «من أصابه علة فبدأ بطين  
قبر الحسين علیه السلام شفاء الله من تلك العلة، إلا أن تكون علة  
السام»<sup>(٣)</sup>.

١٩- عن أبي الحسن الرضا علیه السلام ، قال: «كل طين حرام  
كالميّة والدم وما أهله لغير الله به، ما خلا طين قبر  
الحسين علیه السلام ، فإن فيه شفاء من كل داء»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١١٨.

(٢) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١١٨.

(٣) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١١٨.

(٤) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١٢٠. الوسائل ج ١٠ ص ٤١٥. أمالی الشیخ  
ص ٢٠٢.

٢٠- عن أبي عبد الله عَلِيِّهِ، قال: «أكل الطين حرام على  
بني آدم، ما خلا طين قبر الحسين عَلِيِّهِ، من أكله من وجمع  
شفاه الله»<sup>(١)</sup>.

٢١- عن أبي جعفر الباقر عَلِيِّهِ، قال: «طين قبر  
الحسين عَلِيِّهِ شفاء من كل داء، وأمان من كل خوف، وهو لما  
أخذ له»<sup>(٢)</sup>.

### التبرّك بكسوة الكعبة :

١- عن عتبة بن عبد الله، قال: سألت أبا عبد الله عَلِيِّهِ، عمّا  
يصل إلينا من ثياب الكعبة، هل يصلح لنا أن نلبس منها  
شيئاً؟ قال: «يصلح للصبيان والمصاحف والمخدة، يتغى

---

(١) بحار الأنوار ج ٩٨ ص ١٣٠. الوسائل ج ١٠ ص ٤١٥. أمالی الشیخ  
ص ٢٠٢.

(٢) بحار الأنوار ج ٩٨ ص ١٣٢- ١٣١. الوسائل ج ١٠ ص ٤١٥. أمالی الشیخ:  
ص ٢٠٢.

بذلك البركة إن شاء الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

٢- عن مروان بن عبد الملك، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن رجل اشتري من كسوة الكعبة شيئاً فاقتضى ببعضه حاجته، وبقي بعضاً في يده، هل يصلح بيعه؟ قال: «يبيع ما أراد، ويهب ما لم يرد، ويستنفع به ويطلب بركته...»<sup>(٢)</sup>.  
هذا وقد وردت الأخبار واستفاضت عن التبرّك بالقرآن، وبشهر رمضان، وبالسحرور، وبتراب المدينة وتترّاها، وبماء زمزم، وبجبل أحد وغيرها كثير، مما يدلّ على أهمية موضوع التبرّك، لذا نجد المسلمين على اختلاف مشاربهم يبادرون إلى التبرّك بالقرآن الكريم ويضعونه على

---

(١) الكافي ج ٤ ص ٢٢٩. التهذيب ج ٥ ص ٤٤٩ ح ٢١٣. ومن لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٢٥٢ ح ٢٣٣٣. ووسائل الشيعة ج ١٣ ص ٢٥٧ ب ٢٦، من مقدمات الطواف ح ١.

(٢) الوسائل ج ١٣ ص ٢٥٨ ب ٢٦، من أبواب مقدمات الطواف ح ٣.

العين للتبرّك والشفاء، لأنّ القرآن فيه الشفاء، ويتبّرّكون بكلّ ما عرفوا فيه البركة يتغرون بذلك التقرّب من الله سبحانه وتعالى وطاعة لأمر النبي ﷺ، ولا يخطر على قلب أحدهم بأنّه يفعل ذلك تقرّباً من الشخص أو الشيء المتبرّك به، أو أنّه يعتبر عمله هذا عبادة لهذا الشخص أو الشيء المتبرّك به، بل الجميع متصرفون على أنّ التبرّك هو من الأعمال التي يُبتغى بها وجه الله تعالى ولا شيء سواه، فمثلاً إنّ تقبيل القرآن يقصد به تقديس واحترام كلام الله عزّ وجلّ وليس المقصود به تقبيل الورق أو الغلاف أو غيره، وكذلك هو التقبيل بالنسبة إلى القبور فالغرض منه تقبيل يد المدفون فيه وتعظيم شأنه لما له من الجاه عند الله عزّ وجلّ، فليست لهذا العمل عبادة وتقديساً للحجر كما هو واضح ظاهر؛ فعلى هذا جرت سنة المسلمين منذ عهد النبي ﷺ، والي يومنا هذا، ولم يخالف جمهور المسلمين إلّا بعض الشذوذ الذين لا يفقهون كتاب الله، فيتناولون المتشابه منه، ويحرّفون الكلم

عن مواضعه ليضلّوا المسلمين متّهمين إِيّاهم بالشرك  
والبدعة، إِلَّا أنّ المسلمين يعلمون جيّداً خبث هذه  
الأُساليب وهدفها المنحرف، لذا انبرى جهابذة العلماء من  
كلا الفريقين (السُّنّة والشيعة) للرّد على بدع هذه الشرذمة  
الضالّة، وأبطلوا حججهم بالأدلة الدامغة، وردّوا كيدهم  
إلى نحورهم، وكان في طليعة من تصدى لأذناب السلفيّة،  
هو الشيخ سليمان بن عبد الوهاب - وهو الأخ الشقيق  
لمحمد بن عبد الوهاب حامل لواء هذه البدعة - فردّ عليه  
بكتاب (الصواعق الإلهيّة في الرّد على الوهابيّة)، ثمّ تلاه  
غيره من العلماء الغيّارى على مصلحة الإسلام في الرّد على  
هذه الفتنة ودحض حججها.

## **السجود على التربة الحسينية**

و قبل الدخول في الموضوع لابد من مقدمات تمهيدية:

### **المقدمة الأولى: مشروعية السجود على التربة**

إنّه لا شكّ بأنّ أصل العمل العباديّ يجب أن يتعيّن من قبل الشرع المقدّس؛ لأنّ العبادة أمر توقّفيّ تتوقف مشروعيتها وكيفيّتها إجرائهما وشرائطها على بيان الشارع الأقدس، وهذا أمر متسالم عليه عند جميع المسلمين، ولا شكّ بأنّ السجود لله تعالى من مصاديق العبادة، وتتوقف بيانيه وبيان كيفية وشرائطه على بيان الشارع وإذنه.

إنّه قد ورد عن النبيّ الأكرم ﷺ متواتراً قال: «جعلتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً».

رواه البخاري في صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله

عن رسول الله ﷺ قال: «جعلتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً»<sup>(١)</sup>. ورواه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي ذرٍ مثله<sup>(٢)</sup>.

وروى ابن خزيمة في صحيحه عن النبي ﷺ قال: «جعلتْ لنا الأرض كلّها مسجداً وطهوراً»<sup>(٣)</sup>.

وروى البيهقي عن النبي ﷺ قال: «جعلتْ لي الأرض طيبة وطهوراً ومسجداً»<sup>(٤)</sup>.

وروى العلامة المجلسي بسنده عن النبي ﷺ قال: «جعلت لك ولأمّتك الأرض كلّها مسجداً وطهوراً»<sup>(٥)</sup>.

---

(١) انظر: صحيح البخاري ج ١ ص ١١٣، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ  
جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً.

(٢) انظر: مسنـد أـحمد بن حـنـبل ج ٥ ص ١٦٦.

(٣) انظر: صحيح ابن خزيمة ج ٢ ص ٥ ح ٧٨٧.

(٤) انظر: السنـن الـكـبـرى لأـبي بـكر الـبـيهـقـى ج ٢ ص ٦١٠ ح ٤٢٧.

(٥) انظر: بـحار الـأـنـوار ج ٨٣ ص ٢٧٧.

وروى أيضاً عنه ﷺ «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِي الْأَرْضَ مَسْجِدًا  
وَطَهُورًا أَيْنَا كُنْتَ أَتَيْمِمُ وَأَصْلِي عَلَيْهَا»<sup>(١)</sup>.

وروى عنه ﷺ: «الْأَرْضُ لَكَ وَلَا مُتْكِ طَهُورًا  
وَمَسْجِدًا»<sup>(٢)</sup>.

وروى عنه ﷺ: «جَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ مَسْجِدًا تَرَابًا  
طَهُورًا»<sup>(٣)</sup>.

وروى عنه ﷺ: «جَعَلْتُ الْأَرْضَ مَسْجِدًا تَرَابًا  
وَطَهُورًا»<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية عن أبي أمامة الباهلي: أنّ رسول الله ﷺ قال:  
«فَصَلَّنِي رَبِّي عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيَّهِمُ السَّلَامُ أَوْ عَلَى الْأَمْمَ بِأَرْبَعٍ، قَالَ:

---

(١) انظر: بحار الأنوار ج ٨٠ ص ٢٧٧.

(٢) انظر: بحار الأنوار ج ٨٠ ص ٢٧٨.

(٣) انظر: بحار الأنوار ج ٨٣ ص ٢٧٨. ومسند أبي عوانة ج ١ ص ٣٠٣.

(٤) انظر: شرح عون المعبود ج ١ ص ١٨٢.

أُرْسِلْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَجَعَلْتُ الْأَرْضَ كَلَّهَا لِي وَلَا مُتَّمِتِي  
مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيْنَا أَدْرَكْتُ رَجُلًا مِنْ أَمْتَمِي الصَّلَاةَ  
فِي مَسْجِدِهِ وَعِنْدَهُ طَهُورًا»<sup>(١)</sup>.

وَمِنْ خَلَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْمُتَوَاتِرَةِ وَالْمُقْبُولَةِ مِنْهُمْ نَأْمَانًا  
لَدِي جَمِيعِ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ وَمُحَدِّثِيهِ يَتَضَرَّعُ أَنَّهُ يُجَبِّ عَلَى جَمِيعِ  
الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَّخِذُوا مَوْضِعًا مِنْ وَجْهِ الْأَرْضِ لِلسُّجُودِ،  
تَرَابًا كَانَ أَوْ صَخْرًا، أَوْ حَصْرًا أَوْ نَبَاتًا، وَلَا يَجُوزُ التَّعْدِي عَنْ  
ذَلِكَ مِنْ دُونِ عَذْرٍ مُشْرُوعٍ.

كَمَا أَنَّ لِفَظَةَ (جَعَلَ) هَنَا تَعْنِي - مِنْ دُونِ إِبْهَامِ - التَّشْرِيفِ  
وَالْتَّقْنِينِ، فَيَكُونُ مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ (أَيِ السُّجُودُ  
عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ) حَكْمٌ إِلَهِيٌّ شَرَّعَهُ اللَّهُ لِأَتَابَاعِ الْإِسْلَامِ.

---

(١) انظر: مصباح المستند للشيخ قوام الدين القمي الوشنوي (مخطوط)،  
وقريب منه ما في تيسير الوصول، لابن إمام الكاملية المتوفى سنة ٨٧٤  
هـ ج ١ ص ٣١٥.

## المقدمة الثانية : ما سجد عليه الصحابة

إنّ هناك أحاديث أخرى تؤكّد، وتدلّ بالالتزام على وجوب السجود على وجه الأرض منها: حديث تبريد الحصى للسجود عليها، فقد روى أبو داود بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «كنت أصلّي مع النبي ﷺ الظهر فآخذ قبضة من الحصى فأجعلها في كفي ثم أحشوها إلى الكف الآخر حتى تبرد ثم أضعها لجبيني حتى أسجد عليها من شدة الحر»<sup>(١)</sup>.

وعلق عليه البيهقيّ بقوله: قال الشيخ: « ولو جاز السجود على ثوب متصل به لكان ذلك أسهل من تبريد الحصى بالكفّ ووضعها للسجود»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر: سنن أبي داود ج ١ ص ١٠٠ ح ٣٩٩، ورواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج ١ ص ١٩٥، والبيهقي في سننه الكبرى ج ٢ ص ١٠٥.

(٢) انظر: السنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ١٠٥.

بل نقول: ولو كان السجود على مطلق الثياب سواء كان متّصلاً أم منفصلاً جائزًا، لكان أسهل من تبريد الحصى، ولا يمكن حمل منديل أو سجادة أو ما شابه للسجود عليه.

وروى أنس قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في شدّة الحرّ، فأخذ أحدنا الحصباء في يده فإذا برد وضعه وسجد عليه»<sup>(١)</sup>.

وعن خباب بن الأرت قال: «شكونا إلى رسول الله ﷺ شدّة الرمضان في جهازنا وأكفنا فلم يشكننا»<sup>(٢)</sup>. وقال ابن الأثير في معنى الحديث: «إِنَّهُمْ لَمَّا شَكُوا إِلَيْهِ مَا يَجِدُونَ مِنْ ذَلِكَ، لَمْ يَفْسُحْ لَهُمْ أَنْ يَسْجُدُوا عَلَى طَرْفِ ثِيَابِهِمْ»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) انظر: السنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ١٠٦.

(٢) انظر: السنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ١٠٥.

(٣) انظر: النهاية، لابن أثير ج ٢ ص ٤٩٧، مادة «شكنا».

هذه المأثورات تعرب عن أنَّ السُّنَّة في الصلاة كانت جارية على السجود على الأرض فقط، حتَّى أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰتَاهُ الْمَحْيَا وَلَمْ يفْسُحْ لِلْمُسْلِمِينَ الْعُدُولَ عَنْهَا إِلَى الشِّيَابِ الْمُتَّصِلَةِ أوَ الْمُنْفَصِلَةِ، وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰتَاهُ الْمَحْيَا مُعَذَّبٌ مَّعَذَّبَهُ مَعَ كُونِهِ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفًا رَّحِيمًا أَوْ جَبٌ عَلَيْهِمْ مَسَّ جِبَاهِهِمُ الْأَرْضُ، وَإِنْ آذَتْهُمْ شَدَّةُ الْحَرَّ.

وَمِنْهَا: الرِّوَايَاتُ الَّتِي أَمْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰتَاهُ الْمَحْيَا بِالسَّجْدَةِ عَلَى التَّرَابِ، مَا رَوَاهُ خَالِدُ الْجَهْنَمِيُّ: قَالَ: رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰتَاهُ الْمَحْيَا صَهِيْبًا يَسْجُدُ كَأَنَّهُ يَتَقَبَّلُ التَّرَابَ فَقَالَ لَهُ: «تَرَبٌ وَجْهُكَ يَا صَهِيْبٍ»<sup>(١)</sup>.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ صَهِيْبًا كَانَ يَتَقَبَّلُ التَّرْتِيبَ، فَكَانَ يَسْجُدُ عَلَى الشُّوْبِ الْمُتَّصِلِ وَالْمُنْفَصِلِ، فَأَمْرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰتَاهُ الْمَحْيَا بِالْمُتَّصِلِ وَعَلَى

(١) انظر: المصنَّف لعبد الرزاق الصنعاَني ج ١ ص ٣٩٢ ح ١٥٢٨، ورواه المتَّقِيُّ الْهَنْدِيُّ فِي كِتَابِ العَمَالِ ج ٧ ص ٤٦٥ ح ١٩٨١٠.

كلّ تقدير، فالحديث يدلّ على وجوب السجود على التراب لأنّ الأمر ظاهر في الوجوب.

وروى الترمذى بسنده عن أم سلمة قالت: «رأى النبي ﷺ غلاماً لـنـا يـقـال لـه أـفـلـح يـنـفـخ إـذـا سـجـد، فـقـال: يا أـفـلـح تـرـب»<sup>(١)</sup>. وفي رواية: «يا رـبـاح تـرـب وـجـهـك»<sup>(٢)</sup>.

وروى أبو صالح قال: «دخلت على أم سلمة، فدخل عليها ابن أخي لها فصلّى في بيته ركعتين، فلما سجد نفخ التراب، فقالت أم سلمة: ابن أخي لا تنفخ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لغلام له - يقال له يسار - ونفخ:

---

(١) انظر: سنن الترمذى ج ٢ ص ٢٢١ ح ٣٢٧، ورواه ابن حجر في الإصابة ج ١ ص ٥٨، وابن الأثير في أسد الغابة ج ١ ص ١٠٦، في ترجمة أفلح مولى رسول الله ﷺ.

(٢) انظر: مسند أحمد بن حنبل ج ٦ ص ٣٢٣، والمستدرك على الصحاحين للحاكم النيسابوري ج ١ ص ٢٧١، والسنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ٢٥٢.

“تَرْبَ وَجْهِكَ لِلَّهِ”<sup>(١)</sup>.

ولا يخفى على الباحث آنَّه ورد نظير هذه الأحاديث في  
كثير من المصادر والجواجم الحديثية الإسلامية السنّية  
والشيعيّة.

ويتّضح من لفظة (ترّب) في كلام رسول الله ﷺ أمران:  
الأوّل: آنَّه على الإنسان أن يضع جبهته – عند السجود –  
على التراب.

والآخر: آنَّ وضع الجبهة على الأرض عند السجود  
واجب التنفيذ؛ لأنَّ الأمر ظاهر في الوجوب فلفظة (ترّب)  
التي هي مشتقة من التراب جاءت في صيغة الأمر الدالّة على  
الوجوب.

ومن الواضح آنَّ فلسفة تفضيل السجود على خصوص  
التراب، هي آنَّ هذا العمل أصدق مظهر للتواضع

---

(١) انظر: مسند أحمد بن حنبل ج ٦ ص ٣٠١

والخضوع أمام الله خالق الكون ورب العالمين، وهو كفيل بأن يحرر الإنسان من الاستمرار في التكبر والعجب.

ولهذا يقول رسول الإسلام ﷺ: «إذا صلَّى أحدكم فليلزم جبهته وأنفه الأرض حتى يخرج منه الرغم». قال صاحب النهاية: أي يظهر ذله وخضوعه<sup>(١)</sup>.

ومنها: الروايات التي فيها الأمر بحسر العمامات عن الجبهة؛ ما روي عن النبي ﷺ «أنَّه كَانَ إِذَا سَجَدَ رَفَعَ الْعَمَامَةَ عَنْ جَبَهَتِهِ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: ما روي عن صالح بن حيوان السبائي قال: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَرَى رَجُلًا يَسْجُدُ بِجَنْبِهِ وَقَدْ اعْتَمَّ عَلَى جَبَهَتِهِ، فَحَسِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ عَنْ جَبَهَتِهِ»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث ج ٢ ص ٢٢٩.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٤٥٥.

(٣) انظر: المدونة الكبرى لمالك ج ١ ص ٧٢، وسنن البيهقي ج ٢ ص ١٠٥.

ومنها: ما رواه عياض بن عبد الله القرشي قال: «رأى رسول الله ﷺ رجلاً يسجد على كور عمامته فأومأ بيده: ارفع عمامتك وأومأ إلى جبئته»<sup>(١)</sup>.

ومنها ما روي عن النبي ﷺ: «أنَّهْ نَهَىْ أَنْ يسجد المصلي على ثوبه أو على كمِّه أو على كور عمامته»<sup>(٢)</sup>.

هذه الروايات وغيرها تكشف عن أنَّه لم يكن للمسلمين يوم ذاك تكليف إلَّا السجود على الأرض وهذا كان أمراً مسلِّماً به في زمان رسول الله ﷺ إلى درجة أنَّ بعض المسلمين حين أراد أن يسجد على كور عمامته بدل وضع الجبئه على الأرض نهَا رسول الله ﷺ عن ذلك، ولو جاز السجود على كُلَّ شيء حتَّى الملبوسات كالعِمامَة لما كان يمنع منها رسول الله ﷺ.

---

(١) انظر: سنن البيهقي ج ٢ ص ١٠٥.

(٢) انظر: دعائم الإسلام للقاضي التعمان المغربي ج ١ ص ١٧٩.

ومنها: الروايات الدالة على لزوم السجدة على الجبهة ولصوتها وتمكينها بالأرض، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا صلّى أحدكم فليلزم جبهته وأنفه الأرض حتى يخرج منه الرغم»<sup>(١)</sup>.

من أرغم الله أنفه أي أصدقه بالرغم وهو التراب، هذا هو الأصل ثم استعمل في الذل والعجز عن الانتصار والانقياد على كره فالمراد من قوله ﷺ: حتى يخرج منه الرغم أي يظهر ذلة وخضوعه.

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ «رأى رجلا يصلّى فإذا سجد لم يمس أنفه الأرض فقال: النبي ﷺ لا صلاة لمن لا يمس أنفه الأرض ما يمس الجبين»<sup>(٢)</sup>.

فالدلالة في الحديث الأولى بالأولوية، إذ إيجاب الصاق

---

(١) انظر: النهاية لأبي الأثير ج ٢ ص ٢٢٩.

(٢) انظر: سنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ١٠٤.

الأنف يدلّ على إيجاب إلصاق الجبهة طبعاً، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَنْهُلْ لَهُمَا أُفْ﴾ حيث تدلّ على حرمة الإيذاء والعقوق بالأولوية. وأمّا الحديث الثاني، فقد صرّح فيه ابن عباس بحكم الجبهة وأنّ الصلاة تكون باطلة مع عدم الإلصاق.

وروي عن النبي ﷺ: «إذا سجّدت فمكّن جبّهتك وأنفك من الأرض»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ لأبي ذرٍ: «الأرض لك مسجد فحيثما أدركت الصلاة فصلّ»<sup>(٢)</sup>.

وعن رفاعة بن رافع مرفوعاً: «ثم يكبر فيسجد فيمكّن

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٢٧٢.

(٢) انظر: صحيح مسلم ج ٢ ص ٦٢، كتاب الصلاة، باب المساجد ومواضع الصلاة.

جبهته من الأرض حتى تطمئن مفاصله وتساوي»<sup>(١)</sup>.

وروي عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «إذا سجدت فمكّن جبهتك وأنفك من الأرض»<sup>(٢)</sup>.

وعن سليمان عن النبي ﷺ «تمسّحوا بالأرض فإنّها بكم برة»<sup>(٣)</sup>.

وعن أم عطية قالت قال رسول الله ﷺ «إن الله لا يقبل صلاة من لا يصيّب أنفه الأرض»<sup>(٤)</sup>.

وعن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ رأى رجالا يصلّى فإذا سجد لم يمس أنفه الأرض فقال النبي ﷺ: «لا صلاة لمن لا يمس أنفه الأرض ما يمس الجبين»<sup>(٥)</sup>.

---

(١) انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم النسابوري ج ١ ص ١٤٢.

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٢٧٢.

(٣) انظر: المعجم الكبير للطبراني ج ١ ص ١٤٨.

(٤) انظر: المعجم الكبير للطبراني ج ٥ ص ٨٩.

(٥) انظر: سنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ١٠٤.

وما روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ أخبرني عمّا يجوز السجود عليه وعمّا لا يجوز، قال: «السجود لا يجوز إلّا على الأرض أو على ما أنبتت الأرض إلّا ما أكل أو لبس»، فقال له: جعلت فداك ما العلة في ذلك؟ قال: «لأنّ السجود خضوع لله عزّ وجلّ فلا ينبغي أن يكون على ما يؤكل ويلبس، لأنّ أبناء الدنيا عبيد ما يأكلون ويلبسون، والمساجد في سجوده في عبادة الله عزّ وجلّ، فلا ينبغي أن يضع جبهته في سجوده على معبود أبناء الدنيا الذين اغترّوا بغرورها»<sup>(١)</sup>.

### **المقدمة الثالثة: السيرة النبوية فيما سجد عليه ﷺ**

بيان السيرة النبوية ﷺ في كيفية سجوده ﷺ: فإنّ المسلمين متّفقون جميعاً على أنّ رسول الله ﷺ أسوة لكافة

---

(١) انظر: وسائل الشيعة ج ٥ ص ٣٤٣، باب ١، من أبواب ما يصح السجود عليه.

المسلمين في كلّ عصر ومصر، وأنّ سيرته العملية مشعل وضياء ينير طريق المسلمين في جميع أبعاد الحياة.

يقول القرآن الكريم في هذا المجال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَشْوَأُ حَسَنَةً لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

من هنا لا بدّ حتّى في مسألة السجود من التأسيي بسيرة رسول الله ﷺ والاقتداء بسيرته واتّباع سنته. والآن لا بدّ من دراسة السيرة العملية لرسول الله ﷺ في هذا المجال في ضوء الروايات الإسلامية، وبخاصة الأحاديث الواردة في مؤلفات أهل السنة.

يستفاد من ثنايا الأحاديث الكثيرة الواردة في هذا المجال أنّه ﷺ كان يسجد على الأرض والأشياء المصنوعة مما بنى من الأرض كالحصير، وهذا الطريق هو الذي يسلكه

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

الشيعة اتّباعاً لرسول الله ﷺ واستناداً بسنّته.  
وعلى هذا ينبغي أن ندرج الروايات والأحاديث المذكورة  
في الصنفين الآتيين:

الصنف الأول: الأحاديث التي وردت حول سجود  
النبي ﷺ على الأرض (تراباً كان أو حجراً أو غيره).  
ونذكر من هذه الأحاديث نماذج للاطّلاع:  
فقد أخرج ابن سعد في الطبقات بسنده عن الوائل بن  
حجر قال: «رأيت النبي ﷺ إذا سجد وضع جبهته وأنفه  
على الأرض»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن ابن  
عباس قال: «إنّ النبي ﷺ سجد على الحجر»؛ ثمّ قال: هذا

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٦ ص ١٤١، في ترجمة مسروق بن الأجدع.

Hadith صحيح الإسناد ولم يخرّجاه<sup>(١)</sup>.

وأخرج عبد الرزاق الصنعاني في كتابه المصنف بسنده عن عائشة قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ متقياً وجهه شيء»<sup>(٢)</sup>؛ تعني في السجود.

هذه الرواية تدل على أنّ رسول الله ﷺ كان يسجد دائمًا على الأرض، ويتجمّب الفصل بين جبهته الشريفة والأرض بأيّ مانع وعائق.

وأخرج النسائي في سنته بسنده عن أبي سعيد الخدري وهو من صحابة النبي ﷺ قوله: «بصرت عيناي رسول الله ﷺ على جبينه وأنفه أثر الماء والطين»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج الطبراني في معجمه الأوسط بسنده عن أبي

---

(١) انظر: المستدرك على الصحيحين ج ١ ص ٤٧٣.

(٢) انظر: المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج ١ ص ٣٩٧.

(٣) انظر: سنن النسائي ج ٢ ص ٢٠٩.

هريرة قال: «سجد رسول الله ﷺ في يوم مطير حتى أني لأنظر أثر ذلك في جبهته وأرنبته»<sup>(١)</sup>.

ويتضح من هذا الحديث ونظائره بخلافه أنَّ النبِيَّ ﷺ  
كان يرجُح السجود على وجه الأرض حتى في حال نزول المطر، بحيث شوهد أثر الماء والطين على جبهته الشريفة. وأخرج البيهقيٌّ بسنده عن عبَّاس، قال: «رأيت رسول الله ﷺ يصلِّي فيكساء أبيض في غداة باردة يتقدِّي بالكساء برد الأرض بيده ورجله»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج أحمد بن حنبل بسنده عن ابن عبَّاس قال: «رأيت رسول الله ﷺ في يوم مطير وهو يتقدِّي الطين إذا سجد بكساء عليه يجعله دون يديه إلى الأرض إذا سجد»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) انظر: المعجم الأوسط للطبراني ج ١ ص ٣٦.

(٢) انظر: سنن البيهقي ج ٢ ص ١٠٨.

(٣) انظر: مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٢٦٥.

ويستفاد من ظاهر هذه الأحاديث أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان حتّى في الحالات الاضطرارية كالمطر والبرد الشديد، لا يضع قطعة من القماش بين جبهته والأرض كعازل يمنع من الرطوبة والبرودة الشديدة، لأنَّه ليس في الأحاديث المذكورة إشارة إلى وضع اللباس بين جبهته ووجه الأرض.

الصنف الثاني: الأحاديث التي تحکي عن سجود النبي ﷺ على أجزاء بعض النباتات كالحصير؛ وقد أورد المحدثون الإسلاميون من الشيعة والسنّة هذا النوع من الأحاديث في كتبهم أو مؤلفاتهم الحديثية المعترفة. وهنا نذكر نماذج من هذه الأحاديث وخاصة ما ورد منها في الجواجم الحديثية لأهل السنّة:

أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي سعيد الخدريٌّ أنَّه قال: دخلت على رسول الله ﷺ فرأيته يصلّى على حصير

ويسجد عليه<sup>(١)</sup>.

وقال ابن حجر في فتح الباري: ومن طريق أبي سلمة عن عائشة: «أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَهُ حَصِيرٌ يَبْسُطُهُ وَيَصْلِي عَلَيْهِ»؛ وفي مسلم، حديث أبي سعيد: «أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَصِيلًا عَلَى حَصِيرٍ»<sup>(٢)</sup>.

هذه الروايات وغيرها تبيّن وتعكس سيرة النبي ﷺ في مجال السجود ويتبين من خلالها بوضوح أنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ ملتزماً بأن يسجد على الأرض والتراب وبعض ما ينبع من الأرض مثل الحصير المصنوع من خوص جريد النخل، ولا

---

(١) انظر: صحيح مسلم ج ٢ ص ٦٣، كتاب الصلاة، باب الصلاة في ثوب واحد.

(٢) انظر: فتح الباري ج ١ ص ٤١٣.

نرى في هذه الروايات أيّ أثر من سجوده بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ على المأكولات والملابسات أبداً.

وهذه الحقيقة هي التي يعتقد بها الشيعة، والذي يعملون به في سجودهم؛ لأنّ الشيعة يعتقدون أنّ السنة النبوية والسيرة المحمديّة المباركة هي - بعد الوحي الإلهي ، والقرآن الكريم - الهاדי والمرجع لل المسلمين، وعلى المسلمين جميعاً أن يعملوا على وفقه، ويتبعوه، ولا يتتجاوزوه ولا يتقدّموه: عملاً بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلَيْهِ﴾<sup>(١)</sup>.

#### المقدمة الرابعة: سيرة الصحابة والتابعين

بيان سيرة الصحابة والتابعين في باب السجود: لقد نقل المؤلفون والمحدثون الإسلاميون في جوامعهم الحديثية

---

(١) سورة الحجرات: ١٠.

أحاديث وروايات عديدة تحكي برمّتها عن سيرة الصحابة والتابعين العملية في قضية السجود هذه، وتكشف جميعها عن أنّ صاحبة النبي ﷺ وتابعه كانوا يتزمون السجود على مجرد الأرض (تراباً كان أو حجراً أو غيره) وبعض أجزاء النبات كالحصير في حال الاختيار وفي الظروف العادلة وكانوا يتجنّبون السجود على الشوب أو القماش وغيرها من الملبوسات. ونشير فيها يأتي إلى طائفة من هذه الأحاديث:

منها: ما أخرجه البيهقي في سننه الكبرى بسنده عن نافع قال: «إِنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ إِذَا سَجَدَ وَعَلَيْهِ الْعَمَامَةِ يَرْفَعُهَا حَتَّى يَضْعَ جَبَهَتِهِ بِالْأَرْضِ»<sup>(١)</sup>.

وروى ابن سعد وغيره: «كان مسروق بن الأ杰ع من أصحاب ابن مسعود لا يرخص في السجود على غير

---

(١) انظر: السنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ١٠٥.

الأرض حتّى في السفينة، وكان يحمل في السفينة شيئاً يسجد عليه»<sup>(١)</sup>.

وروي ابن أبي شيبة بسنده عن ابن عيينة عن رزين مولى آل عباس قال: «أرسل إلى عليّ بن عبد الله بن عباس أن أرسل إلى بلوح من المروة أسجد عليه»<sup>(٢)</sup>.

وروى ابن سعد في الطبقات سنده عن أبي أمية قال: «إنّ أبا بكر كان يسجد أو يصلّي على الأرض»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج الهيثميّ بسنده عن أبي عبيدة: «أنّ ابن مسعود كان لا يصلّي أو لا يسجد إلّا على الأرض»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٦ ص ٥٣؛ والمصنّف لعبد الرزاق الصناعيّ ج ٢ ص ٥٨٣.

(٢) انظر: المصنّف لابن أبي شيبة ج ١ ص ٣٠٨.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٦ ص ٥٣؛ والمصنّف لعبد الرزاق الصناعيّ ج ٢ ص ٥٨٣.

(٤) انظر: مجمع الزوائد للهيثميّ ج ٢ ص ٥٧.

وأخرج عبد الرزاق الصنعاني بسنده عن نافع قال: «إنَّ  
ابن عمر كان يكره أن يسجد على كور عمامته حتَّى  
يكشفها»<sup>(١)</sup>.

وأخرج البيهقي بسنده عن عبادة بن الصامت: «أنَّه كان  
إذا قام إلى الصلاة حسر العمامه عن جبهته»<sup>(٢)</sup>.

وروى عبد الرزاق الصنعاني: «كان إبراهيم النخعي  
الفقيه الكوفي التابعي يقوم على البردي ويُسجد على  
الأرض»، قال الرواية: قلنا ما البردي؟ قال الحصير<sup>(٣)</sup>.

وروى ابن حجر في فتح الباري: كان عمر بن عبد العزيز

---

(١) انظر: المصنف لعبد الرزاق الصناعي ج ١ ص ٤٠١ ح ١٥٧٠.

(٢) انظر: السنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ١٠٦.

(٣) انظر: المصنف لعبد الرزاق الصناعي ج ١ ص ٢٩٧. وفي لفظ: "كان  
يصلِّي على الحصير ويُسجد على الأرض". انظر: نيل الأوطار للشوكانى  
ج ٢ ص ١٢٩، وتحفة الأحوذى للمباركفورى ج ٢ ص ٢٤٩.

لا يكتفي بالخمرة بل يضع عليها التراب ويسبّح عليه<sup>(١)</sup>.

وروى أيضاً أنَّه كان عروة بن الزبير يكره الصلاة على

شيء دون الأرض<sup>(٢)</sup>.

في ضوء هذه الأحاديث والروايات الإسلامية يتجلّ

بوضوح أنَّ المسلمين وفي مقدّمتهم رسول الله ﷺ كانوا -

في صدر الإسلام ومنذ تشرع السجود - يسجدون على

الأرض، وينهون كلَّ من يعمد إلى الفصل بين جبهته

والأرض بقماش أو عازل آخر.

بناء على هذا يتّضح أنَّ السنة والسيرة النبوية، وكذا

السيرة العملية للصحابة والتابعين كانت هي السجود على

أجزاء الأرض (مثل التراب والحجر) وبعض أجزاء النبات

مثلاً الحصirs.

---

(١) انظر: فتح الباري ج ١ ص ٤١٠.

(٢) انظر: المصدر السابق.

## **المقدمة الخامسة : ما سجد عليه أهل البيت ع**

إن الشيعة الإمامية اعتبروا أحاديث أهل البيت ع من مصادر الفقه والتشريع عندهم وذلك لأنّ أحاديث العترة مبينة لسنة رسول الله ﷺ، وهذه الرؤية نابعة من أنّ حقيقة التشريع والتقنين للمجتمع البشري خاصّ بالله سبحانه وحده، وقد أرسل القوانين والأحكام الشرعية إلى البشر عن طريق نبيه محمد ﷺ ومن الواضح البين أنّ رسول الله ﷺ جعل عترته الطاهرة عدلاً للقرآن الكريم ومبيّناً للتشرعات الإلهية.

ويعني كما أنّ القرآن مصدر للتشريع فإنّ العترة الطاهرة، كالسنة النبوية مصدر للتشريع؛ ولذلك قال الإمام الصادق ع في هذا المجال: "حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث أمير المؤمنين ع، وحديث أمير المؤمنين ع حديث رسول

الله ﷺ وحديث رسول الله ﷺ قول الله عزّ وجلّ<sup>(١)</sup>.

فقد روى الكلينيّ بسنده عن أبي العباس الفضل بن عبد الملك قال: قال أبو عبد الله الصادق ع عليهما السلام قال: «لا تسجد إلا على الأرض أو ما أنبت الأرض إلا القطن والكتان»<sup>(٢)</sup>.  
وروى أيضاً عن أبي العباس الفضل بن عبد الملك قال:  
قال أبو عبد الله الصادق ع عليهما السلام: «لا تسجد إلا على الأرض أو ما أنبت الأرض إلا القطن والكتان»<sup>(٣)</sup>.

وهناك أحاديث كثيرة تدلّ على المقام. وفي ضوء هذه الأحاديث المذكورة يتبيّن جيداً أنه لا يجوز - في نظر العترة الطاهرة - السجود إلا على الأرض وما ينبع منها ماعدا

---

(١) انظر: وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ٨٢ باب ٨ من أبواب صفات القاضي

٢٦ ح

(٢) انظر: الكافي ج ٣ ص ٣٣٠.

(٣) انظر: الكافي ج ٣ ص ٣٣٠.

الملبوسات والمأكولات. وهذا هو الحكم الذي يستفاد من مجموعة أحاديث سنته رسول الله ﷺ والعترة الطاهرة علیهم السلام . هذه خلاصة ما أوردناه من الصحاح والمسانيد فيها يصح السجود عليه وهي تدل على أنه لا يجوز السجود إلا على الأرض مباشرة أو على ما نبت منها غير مأكول ولا ملبوس أخذًا بأحاديث وسير المعصومين والصحابة والتابعين.

### **لماذا تسجد الشيعة على التربة الحسينية؟**

وبعد ذكر هذه المقدّمات يجب البحث فيما هو السر في التزام الشيعة في استحباب السجود على التربة الحسينية؟ قد تبيّن - مما تقدّم - أن السجود على الأرض مباشرة هو الأصل المعمول به على عهد رسول الله ﷺ والأئمة الراشدين علیهم السلام والصحابة والتابعين وهو الذي يلتزم به الشيعة الإمامية حتى يومنا هذا ولا يحيدون عنه قيد أنملة، فهم يسجدون على الأرض شريطة التأكّد من عدم نجاستها

وخلوّها من الأقدار، ويستحبون من بين تراب الأرض  
تربة كربلاء، حيث استشهد بها أبو الأحرار وسيد الشهداء  
أبو عبدالله الحسين بن علي عليهما السلام الذي خرج في ثلاثة من أهل  
بيت النبوة الأطهار عليهم السلام وأصحابه الأبرار من أجل إنقاذ  
الإسلام والأمة من أيدي الظلم والطغيان والإثم والعدوان  
المتمثل في طاغية عصره وطاغوت دهره يزيد بن معاوية  
الذي تسلط على رقاب المسلمين بغير الحق وأذاقهم صنوفاً  
وألواناً من المحن والمصائب، من قتل وتشريد وانتهاك  
للحرمات والمقدسات وإهلاك بعد ذلك للحرث والنسل  
وضرب الكعبة المشرفة بالمنجنيق وإحراقها وتدمير حرمة  
المدينة المنورة واقتحامها وإياحتها وقتل الصحابة الأبرار  
فيها في وقعة الحرّة وتخريب بيوتهم ونهب أموالهم وهتك  
أعراض بناتهم... إلى غير ذلك من الجرائم البشعة التي  
تقشعر الأبدان عند ذكرها وترتعد الفرائص من مجرد

سماها وتشمتّ النّفوس من هؤلاء المجرمين الذين  
اقترفوا.

وقد سجّل التاريخ أروع ملحمة بطولية على أرض  
كرباء التي ارتوت بدماء الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته  
الأطهار وصحابته الأبرار، تلك الدماء التي أريقت على  
صعيدها من أجل عزة الإسلام وإعلاء كلمة الله في يوم  
عاشوراء وقد دلت بعض الأحاديث على فضل هذه التربة  
الطاهرة ومكانتها السامية، فترى الواحد منهم يحمل معه  
تربة نقية طاهرة منها كيما يسجد عليها لله رب العالمين.

ولا شكّ أن ذلك أمر مستحسن فطرياً أن يتّخذ المصلي  
لنفسه تربة طاهرة طيبة يتأكّد من طهارتها بخلوها من  
النجاسات ولا فرق في ذلك بين أن تكون من هذه الأرض  
أو تلك من حيث أصل الواجب، فهي كلّها في الشّرع سواء  
لا امتياز لـإحداهنّ على الأخرى في جواز السجود عليها.  
وما ذلك الحرص والاهتمام إلّا لحفظ المصلي على طهارة

جسده وملبسه ومصالّاه. وعليه فإنّ المسلم يقوم بالتحاذ  
صعيد طيّب لنفسه يسجد عليه في حلّه وترحاله وفي سفره  
وإقامةه لا سيّما في حال السفر، لعدم الثقة بطهارة كلّ أرض  
ينزل بها ويتحاذها مسجداً من المدن والفنادق وردّهات  
المنازل والساحات العامّة والمطارات ومحطّات وسائل  
المواصلات المختلفة التي تشهد فئات من البشر من مختلف  
الملل والأجناس... من المسلمين وغيرهم من أخلاط الناس  
الذين لا يجالون ولا يكترون لأمر الدين وبخاصة موضوع  
الطهارات والنجاسات.

فأيّ مانع - عندئذ - من أن يحتاط المسلم لدینه ويتحاذ معه  
تربة طاهرة يطمئنّ بنقائتها وطهارتها يسجد عليها في صلاته  
متوكّلاً على الحيطة ومحترزاً من السجود على الأرجاس  
والنجاسات التي لا تسوغ السنة الشريفة السجود عليها ولا  
تقبله الفطرة السليمة، لا سيّما وأنّ أوامر الشرع الحنيف  
تؤكّد على الاهتمام بطهارة أعضاء المصلي ولباسه وتنهى عن

الصلاوة في أماكن معينة لحظة اختلاطها بالنجاسات منها:  
المزابل والمجازر والمقابر وقارعة الطريق والحمامات ومعاطن  
الإبل، وكذلك الأمر بضرورة تطهير المساجد وتطيبها.

فعلى هذه النظرة الصائبة جرى بعض فقهاء السلف  
الورعين والمحططين لدينهم من أهل القررون الأولى،  
وحسبيك أنّ التابعيّ الفقيه الكبير المتفق على جلالته،  
مسروق بن الأجدع كان يأخذ في أسفاره لبنة<sup>(١)</sup> يسجد  
عليها:

فقد أخرج ابن سعد في كتابه الطبقات بسنده عن قرّة بن خالد قال حدثنا محمد قال: "كان مسروق إذا خرج يخرج  
لبنته يسجد عليها في السفينة"<sup>(٢)</sup>.

---

(١) قطعة قالب مربع أو مستطيل مضروب من الطين.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٦ ص ٧٩.

هذا فيما يتعلّق بالسجود على الأرض مباشرةً من حيث  
أصل الوجوب وأخذ الحيطة بحمل تربة طاهرة.

أما فيما يتعلّق باستحباب السجود على تربة كربلاء فإنّ  
قاعدة التفضيل المطردة في هذه الحياة تدلّ عليه وتوكّده  
فضلاً عن ورود بعض الأحاديث التي تعصّبه.

فلا شكّ أنّ الله سبحانه قد اصطفى مكّة وانتجها من  
بين الأماكن وجعلها مقرّاً لبيته الحرام الذي أوجب على  
الناس الحجّ إليه والطواف حوله وخصّها بميزات معينة  
بوصفتها حرمًا آمناً لا يجوز انتهاكه وما يرتبط من ذلك  
بشجرها ونبتها ومن نزل بها، وكذلك اختيار المدينة المنورة  
وجعلها حرمًا إلهياً - أيضًا - يجب تعظيمه وعدم تجاوزه.

وما ورد في السنّة الشريفة في إجلالها وفضائل  
أهلها وتربتها ومن حلّ بها ومن دفن بأرضها وجميع  
ذلك ليس إلّا باعتبار الإضافة والنسبة إلى الله تعالى وكونها  
عاصمة لنبيّه الخاتم ﷺ.

بل إنّ قاعدة التفاضل وتفاوت الدرجات متداة ومطردة  
على الدوام حتّى بين الأنبياء والمرسلين والأوصياء والأولياء  
والشهداء والصالحين وأفراد المؤمنين؛ وكذلك بين الأوقات  
والأزمنة، لاختصاص بعضها بفضائل وخصال معينة،  
فشهر رمضان خير الشهور وليلة القدر أفضل الليالي ويوم  
عرفة أفضل الأيام... وما إلى ذلك من الاختصاصات  
والتفاضلات بين الأعيان نتيجة تعلقها بالله سبحانه  
ونسبتها إليه.

وكان تربة كربلاء هي التربة التي ضمّت بين ثناياها  
أطهر الأجساد وأطفيها وهم أبناء الرسول ﷺ الذين  
سجلوا على صعيدها أعظم صفحات البذل والتضحية في  
سبيل الله سبحانه واحتللت ذراثتها بدمائهم الزكية التي  
أهرقت قربة إليه جلّ وعلا فحرّي بها أن تلازم الإنسان  
المسلم في حله وترحاله وإقامته وتحواله، وتذكّره دائمًا بما  
كتب عليها من معاني البطولة والفداء والبذل والعطاء وأن

تكون نصب عينيه شاهدة عليه وكأنما تأخذ عليه البيعة كلّ  
يوم بالوفاء لتلك الدماء الطاهرة والالتزام بالخطّ الرسالي  
التضحيويّ الذي سلكه أصحابها الأبرار الذين قدّموا  
أرواحهم قرباناً إلى الله تبارك وتعالى.

إنّ تربة كربلاء هي رمز الجهاد الثوريّ الذي خاصّه أهل  
بيت النبيّ ﷺ في كفاحهم المير ضدّ الظلم والاستكبار  
والفساد والانحراف.

وهي رمز الاعتزاز بالإسلام ديناً ومنهجاً للحياة في  
مواجهة القوى الشيطانية التي تسعى إلى استئصاله وإقصائه  
بعيداً عن ساحة الوجود.

كما أنها رمز الشجاعة والصمود في وجه الطغاة  
والمستبدّين من أجل إحقاق الحقّ وثبتت أركانه وإزهاق  
الباطل وتقويض بنائه.

وما إلى ذلك من الدروس القيمة والعظات البالغة التي  
يجب ألا تغيب عن ذهن الإنسان المسلم أبداً الدهر، ومن هنا

كانت قيمة تربة كربلاء المعنوية والعبارة من الارتباط بها  
والسجود عليها؛ ولذلك جاءت الأحاديث الشريفة لتعظم  
تلك التربة الطاهرة وتشيد بفضلها:

### فضل التربة الحسينية :

فقد روى ابن حجر الهيثمي في كتابه الصواعق المحرقة:  
«إذ دخل الحسين فاقتصر فوثبَ على رسول الله ﷺ؛ فجعل  
رسول الله ﷺ يلشمُه ويقبّله، فقال له الملك: «أَنْجِبْه؟» قال:  
«نعم»، قال: «إِنَّ أَمْتَكَ سُتُّقْتَلُه وَإِنْ شَئْتَ أَرِيكَ الْمَكَانَ الَّذِي  
يُقْتَلُ بِهِ؛ فَأَرَاهُ، فِجَاءَ بِسَهْلَةً أَوْ تَرَابَ أَحْمَرَ، فَأَخْذَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ  
فَجَعَلَتْهُ فِي ثُوبَهَا». قال ثابت: «كَتَّانَ نَقُولُ إِمَّا كَرْبَلَاءَ...»<sup>(١)</sup>.  
وآخر جهه أيضاً أبو حاتم في صحيحه، وروى أحمد نحوه،  
وروى عبد بن حميد وابن أحمد نحوه أيضاً... وزاد الثاني

---

(١) انظر: الصواعق المحرقة: ص ١٩٢.

أيضاً أنه عليه السلام شَمَّها، وقال: «ويح كرب وبلاء»<sup>(١)</sup>.  
وهكذا روى عن ابن سعد وهو أيضاً عن الشعبي: «مرَّ  
على عليه السلام بكرباء عند مسيره إلى صفين وحاذى نينوا - قرية  
على الفرات - فوقف وسأل عن اسم هذه الأرض، فقيل:  
كرباء، فبكي حتى بل الأرض من دموعه، ثم قال: دخلتُ  
على رسول الله عليه السلام وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال:  
كان عندي جبرئيل آنفًا وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل  
بشاطئي الفرات بموضع يقال له: كربلاء، ثم قبض جبرئيل  
قبضة من تراب شمني إياه، فلم أملك عيني أن فاضتا»<sup>(٢)</sup>.  
ويقول ابن حجر في موضع آخر: «فقال جبرئيل: ستقتله  
أمتك. فقال عليه السلام ابني؟ قال: نعم وإن شئت أخبرتك  
بالأرض التي يقتل فيها، فأشار جبرئيل بيده إلى الطفَّ

(١) انظر: الصواعق المحرقة: ص ١٩٢-١٩٣.

(٢) انظر: الصواعق المحرقة: ص ١٩٣.

بالعراق فأخذ منها تربة حمراء فأراه إياها وقال: هذه من تربة  
مصر عه<sup>(١)</sup>.

وأخرج الحاكم النيسابوري، بسنده عن أم سلمة: «أنَّ  
رسول الله ﷺ اضطجع ذات ليلة للنوم فاستيقظ وهو  
حائر، ثم اضطجع فرقد ثم استيقظ وهو حائر دون ما رأيت  
به المرة الأولى ثم اضطجع فاستيقظ وفي يده تربة حمراء  
يقبلها، فقلت له: ما هذه التربة يا رسول الله؟ قال: أخبرني  
جبرئيل عليه السلام أنَّ هذا يقتل بأرض العراق للحسين،  
فقلت أرنى تربة الأرض التي يقتل بها فهذه تربتها...».  
(ثم قال الحاكم): هذا حديث صحيح على شرط الشيفيين  
(البخاري ومسلم) ولم يخرّجاه<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر: الصواعق المحرقة: ص ١٩٣.

(٢) انظر: المستدرك على الصحيحين ج ٤ ص ٣٩٨.

وفي ضوء المجموعة الكبرى من الأحاديث الواردة في صحاح السنّة وسننهم ومسانيدهم من هذا القبيل يتضح أنّ أرض كربلاء كانت تعدّ عند رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ والمحاذين الإسلاميين من الأماكن والبقاع المقدّسة المحترمة، وأنّ تراهاما الطاهر المطهر يحظى بأهميّة وميزة خاصّة.

ولذا كان المسلمين الشيعة يستحبّون السجود عليها في صلواتهم لما اختصّت به من ميزات وفضائل معنوية. وتجب الإشارة هنا إلى أنّ ذلك ليس من الفرض المحتم عند الشيعة ولا من واجبات الشرع والدين ولا يلتزمون به فيما بينهم؛ بل إنّه من قبيل الاستحسان والاستحباب فحسب.

## التربة الحسينية في كلام أهل البيت

وأماماً عن أهل البيت فقد ثبت سجودهم لله على تربة السبط الزيكي الطاهر، فإن أول من بادر إلى استخدام التربة الحسينية والسجود عليها هو ابنه الإمام علي بن الحسين زين العابدين .<sup>(١)</sup>

وهو الذي وصلت إليه الإمامة بعد استشهاد الإمام الحسين ، وبعد أن دفن الإمام السجاد أباه وأهل بيته وأنصاره، أخذ قبضته من التربة التي وضع عليها الجسد الشريف، فشد تلك التربة في صرة وعمل منها سجادة ومبحة؛ ولما رجع الإمام السجاد هو وأهل بيته إلى المدينة، صار يتبرّك بتلك التربة ويسلام عليها، فأول من صلى على هذه التربة واستعملها هو الإمام زين

---

(١) انظر: مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٢٥١.

العابدين علّيهم السلام<sup>(١)</sup>.

ثم تلاه ولده الإمام محمد الباقر علّيهم السلام بالغ في حث أصحابه عليها ونشر فضائلها وبركاتها، ثم زاد على ذلك ولده الإمام جعفر الصادق علّيهم السلام فإنه نوّه بها لشيعته، كما وقد التزم الإمام علّيهم السلام ولا زم السجود عليها بنفسه<sup>(٢)</sup>.

وكان للإمام الصادق علّيهم السلام خريطة من ديماج صفراء فيها من تراب أبي عبدالله الحسين علّيهم السلام، وكان إذا حضرته الصلاة صبّه على سجادته وسجد عليه الله عزّ وجلّ، كما أنّ المرويّ عنه علّيهم السلام أنه كان لا يسجد إلّا على تربة الحسين علّيهم السلام تذللّ الله واستكانت إلية، ولم تزلّ الأئمة من أولاده تحرّك العواطف وتحفّز الهمم وتتوفر الدواعي إلى السجود عليها والالتزام بها

---

(١) انظر: بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١٣٦ ح ٧٨.

(٢) انظر: الأرض والتربة الحسينية، للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء

وتبيّن تضاعف الأجر والثواب في التبرّك بها والمواظبة عليها حتى التزمت الشيعة إلى اليوم هذا الالتزام مع عظيم الاهتمام، ولم يمضِ على زمن الإمام الصادق عليه السلام قرنٌ واحد حتى صارت الشيعة تجعل منها ألواحاً وتضعها في جيوبها كما هو المعروف اليوم<sup>(١)</sup>.

وفي توقيعات وجوابات الإمام المهدي عليه السلام لحمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، وقد سأله عن السجود على لوح من طين القبر الشريف أي التربة الحسينية فأجاب عليه السلام:

"يجوز ذلك وفيه الفضل"<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر: الأرض والتربة الحسينية، للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ص ٣٢.

(٢) انظر: بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١٣٥ ح ٧٤.

## **ثانياً : الالتزام بالسجود على التربة الحسينية**

الالتزام الشيعة الإمامية بالسجود على التربة الحسينية لا يعني اعتقادهم بعدم صحة السجود إلا على التربة الحسينية، إذ لا وجود لهذا القول عند فقهائهم أجمع، بل لا توجد رواية واحدة في الحديث الشيعي تحصر السجود بالتربة الحسينية، نعم وردت روايات كثيرة متواترة عن أهل البيت عليه السلام في بيان فضل التربة الحسينية. وطهارتها واستحباب السجود عليها، مع كونها أسلم من غيرها من جهة النظافة والتزاهة المؤكّدة فيها ونحو ذلك من المسوّغات المشروعة والتي يمكن إيجادها بالنقاط الآتية:

١. اطمئنان الساجد على التربة الحسينية بأنه يسجد لله على قطعة طاهرة من الأرض لا تختلف عن غيرها من تراب الأرض إلا من الناحية المعنوية.
٢. التأسي بأهل البيت عليه السلام من جهة الاقتداء بفعلهم في السجود على التربة الحسينية، وبأقوالهم الثابتة في الحث على

السجود عليها أيضاً.

٣. صلة التربية الحسينية بالمعاني الروحية الرفيعة التي تَدَبِّرُ الإِسْلَامُ إِلَيْهَا، فهي تُذَكَّرُ بالتضحيّة والصمود من أجل العقيدة والتفاني المنقطع النظير من أجل إعلاء كلمة الحق وإزهاق الباطل.

وما أجمل بالمصلّى أن يتوجّه الله عزّ وجلّ بقلب خالص من الرياء، ويُتذَكَّرُ ما صنعه الحسين عَلَيْهِ الْمَسْكُونَةُ في عاشوراء من أجل الدفاع عن الإسلام وتحطيم هيكل الجحور والفساد والظلم والاستبداد، مُجَدِّداً العهد مع الله عزّ وجلّ - وهو واضحٌ جبهته على تراب الحسين عَلَيْهِ الْمَسْكُونَةُ - بآنه سيمضي في طريقه ولا يخشى في الله لومة لائم.

**ثالثاً: السر في تقبيل الشيعة للتربة الحسينية**  
إن تقبيل الشيعة للتربة الحسينية نشأ من اقتدائهم بفعل رسول الله ﷺ، كما ثبت ذلك من طرق أهل السنة - كما

رواه جمُعٌ من حُفَاظِهِمْ - بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَلَكُ الْجَنَّاتِ لَمَّا جَاءَهُ  
جَبَرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَبْضَةٍ مِّنْ تَرَابٍ كَرْبَلَاءَ، شَمَّهَا وَقَبَّلَهَا وَأَخْذَ  
يُقْلِبُهَا بِحُزْنٍ بِالْغَمِّ، حَتَّى قَالَتْ لَهُ أُمُّ سَلَمَةَ: مَا هَذِهِ التَّرْبَةُ يَا  
رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَلَكُ الْجَنَّاتِ: أَخْبَرْنِي جَبَرِيلُ أَنَّ ابْنِي هَذَا - يَعْنِي  
الْحَسَنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - يُقْتَلُ بِأَرْضِ الْعَرَاقِ، فَقَلَّتْ لِجَبَرِيلَ: أَرِنِي  
تُرْبَةَ الْأَرْضِ الَّتِي يُقْتَلُ بِهَا، فَهَذِهِ تُرْبَتُهَا<sup>(١)</sup>.

وَفِي الْأُخْرَى عَنْ أَبِي وَائِلٍ شَقِيقِ أُمِّ سَلَمَةَ: ثُمَّ قَالَ لَهَا  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَلَكُ الْجَنَّاتِ: وَدِيْعَةُ عَنْدَكَ هَذِهِ، فَشَمَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَلَكُ الْجَنَّاتِ  
وَقَالَ: وَيَحْ كَرِبٌ وَبَلَاءُ! ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَلَكُ الْجَنَّاتِ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ، إِذَا  
تَحَوَّلَتْ هَذِهِ التُّرْبَةُ دَمًا، فَاعْلَمِي أَنَّ ابْنِي قُدِّقْتُ<sup>(٢)</sup>.  
قَالَ أَبُو وَائِلٍ: فَجَعَلْتُهَا أُمِّ سَلَمَةَ فِي قَارُورَةٍ، ثُمَّ جَعَلْتُ

---

(١) انظر: المستدرك على الصحيحين ج ٤ ص ٣٩٨. المعجم الكبير للطبراني ج ٣ ص ١١٠.

(٢) انظر: المعجم الكبير للطبراني ج ٣ ص ١٠٨.

تنظر إليها كل يوم وتقول: إن يوماً تحولين دماً ليوم عظيم<sup>(١)</sup>. فتأسياً واقتفاءً لأثر النبي ﷺ يقبل الشيعة ويشمون ويَدِّخرون ويسكبون الدموع على التربة الحسينية، فهي سنة رسوله وأهل بيته عليهما السلام، ولكل مسلم في رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أُسْوَة حسنة.

ولا شك في أن الاقتداء بسنة الرسول ﷺ من الواجبات الثابتة عند جميع المسلمين بلا خلاف، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ مَّا نَ كَانَ يَرْجُو وَاللَّهُ وَالْأَيُّوبُ وَمَا الْآخِرُ وَذَكْرُ اللَّهِ كَبِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

ورُوي أن الإمام أمير المؤمنين علّمه لما نزل كربلاء في مسيره إلى صفين، وقف هناك ونظر إلى مصارع أهله وذرّيته

(١) انظر: المعجم الكبير للطبراني ج ١ ص ١٢٤. مقتل الحسين عليهما السلام للخوارزمي ج ١ ص ٢٣١.

(٢) سورة الأحزاب: ٢١.

وشييعته ومسفك دماء مُهجرته وثمرة قلبه، فأخذ من تربتها  
وشمّها قاتلاً: واهًا لك أيتها التربة، لَيُحشِّرْنَّ منك أقوامٌ  
يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بغير حساب. ثم قال: طوبى لك من تربة  
عليك تهراق دماء الأحبة<sup>(١)</sup>.

بل وحتى لوم يرد في ذلك شيء عن الرسول  
الأكرم ﷺ وعترته المعصومين علیهم السلام، فلا ضير في تقبيل  
التربة الحسينية أصلًا، وأيّ محرّر في تقبيل شيء يُذكّر  
بمُثل الإسلام العليا وقيمه الراقية التي تجسّدت في شخص  
الإمام الحسين علیه السلام؟ على أن تقبيل التربة الحسينية ليس  
للتربة ذاتها، وإنما لإضافتها إلى الإمام الحسين علیه السلام الذي  
تكمّن في اسمه كل فضيلة، مع ما توحّيه تلك التربة لكلّ

---

(١) انظر: مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ١٤٨ و ١٥٧. وتهذيب الأحكام  
للشيخ الطوسي ج ٦: ص ٧٢ ح ١٣٨، وبحار الأنوار للعلامة المجلسي  
ج ٤٤: ص ٢٥٣، وكامل الزيارات لابن قولويه: ٤٥٣)

غيور على الإسلام من ضرورة الجهاد في سبيل الله والدفاع  
عن حياض العقيدة مع نصرة الحق أينما كان.

#### **رابعاً : حكم السجود على التربة الحسينية**

بعد ثبوت سيرة الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام - ابتداءً من الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام وانتهاءً بالإمام المهدى عليه السلام - في السجود على التربة الحسينية بما ليس فيه أدنى مجال للشك، وبعد ثبوت كون السجود على مطلق الأرض هو الفرض النازل من الله تعالى على عباده والمؤكّد بسنة نبيه صلوات الله عليه وآله وسلامه .. سيتضح أن السجود على التربة الحسينية ليس فرضاً، وإنما من المستحبّات الأكيدة، وهذا هو ما يقوله جميع الشيعة بلا استثناء ابتداءً بأهل البيت عليهم السلام، وهذا تراهم يسجدون على التربة الحسينية كما يسجدون على غيرها مما صح السجود عليه، كالتراب والرمل والخضى أو مما أنبتت الأرض مما لا يؤكل ولا يلبس.

ومع هذه الحقيقة قد ذهب المتطرّفون من خصوم الشيعة إلى القول بأنّ الشيعة لا تجيز السجود على غير التربة الحسينية! بل وصفوا سجودهم على التربة الحسينية بالسجود لغير الله! بل لم يُفرّقوا - جهلاً - بين السجود على الشيء وبين السجود للشيء؟! إذ لو جاز أن يقال إنّ الشيعة تسجد للتربة الحسينية؛ لجاز القول بأنّ العامة تسجد للأرض، أي تسجد لما هو أدنى وأقلّ منزلة من التربة الحسينية، لثبتوت شرف التربة الحسينية على غيرها من الأرض.

هذا مع وجود تصريح جميع فقهاء الشيعة بأنه يحرّم السجود لغير الله، وأنّ من يفعل ذلك فقد كفر وخرج عن دين الإسلام؛ لأنّ السجود عبادة فلا تصحّ لأحد سواه تعالى مهما كان نبياً أو وصياً.

قال الشيخ عبد الحسين الأميني رحمه الله: "وليس اتخاذ تربة كربلاء لدى الشيعة من الفرض المحتم، ولا من واجب

الشرع والدين، ولا ممّا أزلمه المذهب، ولا يفرق أيّ أحد منهم - منذ أول يوم - بينها وبين غيرها من تراب الأرض في جواز السجود عليه، خلافاً لما يزعمه الجاهل بهم وبآرائهم، وإنْ هو عندهم إلّا استحسان عقليٍّ ليس إلّا، واختيار لما هو الأولى بالسجود لدى العقل والمنطق والاعتبار فحسب كما سمعت. وكثير من رجال المذهب يتّخذون معهم في أسفارهم غير تربة كربلاء ما يصحّ السجود عليه، كحصير طاهر نظيف يُوثق بطهارته، أو حمرة مثله ويُسجدون عليها في صلواتهم<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: السجود على التربة الحسينية عند الشيعة الإمامية، للشيخ عبد الحسين الأميني ص ٦٧.

## **خامساً : آثار وفوائد التربة الحسينية والسجود عليها**

للتربة الحسينية المباركة شرف عظيم ومنزلة رفيعة، كما أكّدت عليها الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، فهـي:

### **١- شفاء من كل داء، وأمان من كل خوف**

فقد ثبت أنّ للتربة الحسينية أثراً في علاج الكثير من الأمراض التي تعسر شفاؤها بواسطة العقاقير الطبيّة، وقد جرّب الكثير من محبّي الإمام الحسين عليه السلام ونالوا الشفاء ببركة صاحب التربة المقدّسة، فقد روى محمد بن مسلم عن الإمامين الバقر والصادق عليهما السلام أنّ للإمام الحسين عليه السلام ثلاثة ثلث فضائل ومميّزات ينفرد بها عن غيره من جميع الخلق، مع ما له من الفضائل الأخرى التي يصعب عدّها، قال عليه السلام: «أنْ جَعَلَ الْإِمَامَةَ فِي ذُرْيَتِهِ، وَالشَّفَاءَ فِي تُرْبَتِهِ، وَإِجَابَةَ الدُّعَاءِ عَنْهُ

قبره»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الصادق ع: «في طين قبر الحسين ع شفاء من كل داء، وهو الدواء الأَكْبَر»<sup>(٢)</sup>.

علماً أن الأخبار تظافرت بحرمة أكل الطين، إلا من تربة قبر الإمام الحسين ع بآداب مخصوصة وبمقدار معين، وهو أن يكون أقل من حصة، وأن يكون أخذها من القبر بكيفية خاصة وأدعية معينة<sup>(٣)</sup>.

وروي أنه لما ورد الصادق ع إلى العراق اجتمع الناس إليه فقالوا: يا مولانا تربة قبر الحسين ع شفاء من كل داء! فهل هي أمان من كل خوف؟ فقال: نعم، إذا أراد أحدكم أن يكون آمناً من كل خوف فليأخذ السبحة تربته ويدعو

---

(١) انظر: إعلام الورى بأعلام الهدى للطبرسي ج ١ ص ٤٣١.

(٢) انظر: من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٣٦٢. تهذيب الأحكام ج ٢ ص ٢٦.

(٣) انظر: من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٣٦٢.

بداعٌ ليلة المبيت على الفراش ثلاث مرات ثم يقبلها  
 ويضعها على عينه ويقول: اللهم إني أسألك بحق هذه  
 التربية وبحق صاحبها وبحق جده وبحق أبيه وبحق أمّه  
 وبحق أخيه وبحق ولده الطاهرين أجعلها شفاء من كل داء  
 وأمانا من كل خوف وحفظا من كل سوء ثم يضعها في جيشه  
 فإن فعل ذلك في الغداة فلا يزال في أمان الله حتى العشاء،  
 وإن فعل ذلك في العشاء فلا يزال في أمان الله حتى الغداة<sup>(١)</sup>.  
 وروي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه ما كان يبعث إلى أحد  
 شيئاً من الشياطين أو غيره إلا ويجعل فيه الطين - يعني طين قبر  
 الحسين عليه السلام وكان يقول عليه السلام: هو أمان بإذن الله<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: الأمان من أخطار الأسفار والأزمات ابن طاوس ص ٤٧. فلاح السائل ابن طاوس ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٢) انظر: كامل الزيارات ص ٢٧٨.

## ٢- اتّخاذها مسبحة :

والملاحظ أنَّ أهل البيت عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ كانوا يوصون شيعتهم بضرورة الاحتفاظ بمسبحة من طين قبر الإمام الحسين عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ واعتبارها أحد الأشياء الأربعة التي لابد وأن ترافق المؤمن في حِلَّه وترحاله، قال الإمام الصادق عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ : «لا تستغني شيئاً عن أربع: حُمْرَةٌ يصلِّيُّ عليها، وختامٌ يَتَخَتمُ به، وسؤالٌ يَسْتَأْكِيهُ به، وسبحةٌ من طين قبر الحسين عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ»<sup>(١)</sup>.

وثواب التسبيح بمسبحة مصنوعة من طين قبر الإمام الحسين عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ بالاستغفار والذكر ما لا ينبغي الغفلة عنه؛ لعظمته ما يتربّب عليه من فوائد وأثار. روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ قال: «مَنْ أَدَارَ سبحةً مِنْ تُرْبَةِ الْحَسَنِ عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ مَرَّةً وَاحِدَةً بِالْاسْتغْفَارِ أَوْ غَيْرِهِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ سَبْعِينَ مَرَّةً»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر: تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ص ٧٥.

(٢) انظر: مكارم الأخلاق للطبرسي ص ٣٠٢.

وروي عنه عليهما السلام قال: «ومن كان معه سبحة من طين قبر الحسين عليهما السلام كتب مسبحاً وإن لم يسبح بها»<sup>(١)</sup>.

### ٣- السجود عليها يخرق الحجب السبعة :

فقد روي عن الإمام الصادق عليهما السلام قال: «إن السجود على تربة أبي عبدالله - الحسين - عليهما السلام يخرق الحجب السبعة»<sup>(٢)</sup>.

وقد علق الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء على هذا الحديث بقوله: «ولعل المراد بالحجب السبعة هي الحاءات السبعة من الرذائل التي تحجب النفس عن الاستضائة بأنوار الحق، وهي: الحقد، الحسد، الحرص، الحدة، الحماقة، الحيلة، الحقارة. فالسجود على التربة من عظيم التواضع، والتتوسل بأصنفiae الحق يمزّقها ويحرقها ويبدها بالحاءات السبع من الفضائل، وهي: الحكمة، الحزم، الحلم، الحنان، الحصانة،

---

(١) انظر: من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٧٤ ح ٤٠.

(٢) انظر: بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١٥٣.

الحياء، الحب»<sup>(١)</sup>.

بقي سؤال ربما يختلج في نفس الإنسان وهو: لماذا توجد كتابة على قوالب التُّرب الحسينيَّة التي تسجد الشيعة عليها؟ والجواب أولاً: إنه ليس جميع أقسام قوالب التُّرب الحسينية مكتوب عليها، فإنَّ هناك كثيراً من قوالب التُّرب ليس عليها حرف واحد.

وثانياً: الكتابة على بعضها سبحانه ربِّ الأعلى وبحمده، رمزاً لذكر السجود، وعلى بعضها أنَّ هذه التربة متَّخذة من تراب أرض كربلاء المقدَّسة.

وخلاصة الكلام: أنَّ السجود واجب في الصلاة المفروضة، وهي لا تصح إلا على الأرض وما أنبت من غير المأكول والملبوس؛ فترسخت وتأكَّدت محبوبية السجود على التربة الحسينيَّة عند الشيعة الإماميَّة حتَّى لازمهم؛ لكون السجود على التربة الحسينيَّة عاماً مساعداً في تيسير أداء الواجب.

---

(١) انظر: الأرض والتربة الحسينية: ص ٣٢.

## النصّ على الأئمّة الاتّني عشر

في الأسطر القادمة نستعرض الأحاديث الواردة من كتب أهل السنة مما تدلّ على أنّ الأئمّة عليهم السلام اثنا عشر، وقد ورد الحديث بسياقات وعبارات مختلفة، يحصر فيه عدد الخلفاء بعد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه في اثنى عشر شخصاً.

ما ورد من ذلك في كتب العامة  
نبدأ بذكر الروايات التي تحدّث عن الأئمّة عليهم السلام  
وعددهم في صحاح السنة:

١ - أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن شعبة عن عبد الملك قال: سمعت جابر بن سمرة قال: سمعت النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه يقول: «يكون اثنا عشر أميراً»، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه يقول: «كلّهم من قريش»<sup>(١)</sup>.

---

(١) صحيح البخاري ج: ٨ ص: ١٢٨ كتاب الأحكام، باب قبل باب إخراج الخصوم وأهل الريب من البيوت بعد المعرفة.

٢ - أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن حصين عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع النبي ﷺ فسمعته يقول: «إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَنْقُضُهُ حَتَّى يَمْضِي فِيهِمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً»، ثُمَّ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ خَفِيَ عَلَيَّ، فَقُلْتُ لِأَبِي: مَا قَالَ؟ قَالَ: «كَلَّهُمْ مِنْ قَرِيشٍ»<sup>(١)</sup>.

٣ - أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن سماك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ عَزِيزًا إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً»، ثُمَّ قَالَ كَلْمَةً لَمْ أُفْهَمْهَا، فَقُلْتُ لِأَبِي: مَا قَالَ؟ فَقَالَ: «كَلَّهُمْ مِنْ قَرِيشٍ»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) صحيح مسلم ج ٦: ص ٢ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقریش والخلافة في قریش.

(٢) صحيح مسلم ج ٦: ص ٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقریش والخلافة في قریش.

٤- أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن الشعبي عن جابر بن سمرة قال: قال النبي ﷺ: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة»، قال: ثم تكلّم بشيء لم أفهمه، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: «كُلُّهم من قريش»<sup>(١)</sup>.

٥- أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع أن أخبرني بشيء سمعته من رسول الله ﷺ، قال: فكتب إلى: سمعت رسول الله ﷺ يوم الجمعة عشيّة رجم الأسلمي يقول: «لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كُلُّهم من قريش»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) صحيح مسلم ج٦: ص ٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش.

(٢) صحيح مسلم ج٦: ص ٤ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش.

٦- أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن سفيان بن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما ولهم اثنا عشر رجلاً، ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفية عليّ، فسألت أبي: ماذا قال رسول الله ﷺ؟ فقال: «كلهم من قريش». ورواه أيضاً عن قتيبة بن سعيد عن أبي عوانة عن سمّاك عن جابر بن سمرة عن النبي ﷺ ولم يذكر «لا يزال أمر الناس ماضياً»<sup>(١)</sup>.

٧- وأخرج أبو داود في سننه بسنده عن عامر، عن جابر ابن سمرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»، قال: فكثير الناس

---

(١) صحيح مسلم ج٦: ص٣ كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش.

وَضَجَّوْا، ثُمَّ قَالَ كَلْمَةٌ خَفِيَّةٌ، قَلْتُ لِأَبِي: يَا أَبَةَ مَا قَالَ؟ قَالَ: «كَلَّهُمْ مِنْ قَرِيشٍ»<sup>(١)</sup>.

-٨- أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عامر عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة» فكثير الناس وضجوا، ثم قال كلمة خفية، قلت لأبي: يا أبا ما قال؟ قال: «كلهم من قريش»<sup>(٢)</sup>.

٩- أخرج الحاكم في المستدرك بسنده عن مجالد بن سعيد  
عن الشعبي عن مسروق قال: كنّا جلوساً ليلة عند عبد الله  
يقرئنا القرآن، فسألته رجل فقال: يا با عبد الرحمن هل سألت  
رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد

(١) سنن أبي داود ج ٢: ص ٣٠٩

<sup>٩٨</sup> مسند أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ ج: ٥ ص:

الله: ما سألكي عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك، قال:  
سألناه فقال: «اثنا عشر عدّة نقباء بنى إسرائيل»<sup>(١)</sup>.

١٠ - أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عامر عن جابر بن سمرة السوائي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في حجّة الوداع: «لا يزال هذا الدين ظاهرا على من ناواه لا يضره خالف ولا مفارق حتّى يمضي من أمتي اثنا عشر أميراً كلّهم»، ثمّ خفي من قول رسول الله ﷺ، قال: وكان أبي أقرب إلى راحلة رسول الله ﷺ مني، فقلت: يا أبايه، ما الذي خفي من قول رسول الله ﷺ؟ قال: يقول: «كلّهم من قريش»<sup>(٢)</sup>.

١١ - أخرج ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق بسنده عن الشعبي عن مسروق قال: سأله عبد الله بن مسعود:

---

(١) المستدرك على الصحيحين ج ٤: ص ٥٠١

(٢) مسنـدـ أـحـمـدـ بـنـ حـنـبـلـ جـ ٥ـ صـ ٨٧ـ

هل حدّثكم نبيّكم ﷺ بعدّ الخلفاء من بعده؟ قال: نعم  
وما سألني عنها أحد قبلك، قال: «إن عدّ الخلفاء بعدي  
عدّ نقباء موسى عليهما السلام»<sup>(١)</sup>.

١٢ - أخرج القندوزي الحنفي في ينابيع المودة بسنده عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال: كنت مع أبي عند رسول الله ﷺ فسمعته يقول: «بعدي اثنا عشر خليفة»، ثم أخفى صوته فقلت لأبي: ما الذي قال في ما أخفى صوته؟ قال: قال: «كلّهم منبني هاشم»<sup>(٢)</sup>.

تحقيق الخلفاء الاثني عشر في أئمة الشيعة عليهما السلام

وهذه الأحاديث لا تنطبق إلا على مذهب الشيعة الإمامية، فإن بعضها يدل على أن الإسلام لا ينكرض ولا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة، وبعضها يدل على

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ١٦: ص ٢٨٦

(٢) ينابيع المودة ج ٢: ص ٣١

أن عزّة الإسلام إنما تكون إلى اثنى عشر خليفة، وبعضها يدلّ على بقاء الدين إلى أن تقوم الساعة، وأن وجود الأئمة مستمرٌ إلى آخر الدهر، وبعضها يدلّ على أن الائتني عشر كلّهم من قريش، وفي بعضها كلّهم من بنى هاشم، وظاهر جميعها حصر الخلفاء في اثنى عشر، واستمرار خلافتهم إلى يوم القيمة، وإلى غير ذلك من الخصائص التي ذكرها النبي ﷺ لخلفائه والتي لا تنطبق إلا على مذهب الشيعة الإمامية الائتني عشرية. وينبغي أن يعدّ ذلك من جملة معجزات النبي ﷺ وإخباره عن المغيبات، بحيث لو تأمل فيها الإنسان الذي له ذهن سليم وحال عن الشوائب والأغراض وبعيد عن التعصب والتطرف وغير معاند للحقّ، بل يكون طالباً للحقّ والحقيقة وهادفاً لاستكشاف الحقائق فلا يحتمل إلا ما ذهبت إليه الشيعة الإمامية الائتني عشرية.

ولو أضفنا إليها غيرها من الروايات الكثيرة الواردة في كتب أهل السنة الدالة على ذكر الأئمة الائتني عشر من أهل

البيت عليه السلام بأسمائهم واحداً بعد واحد، يتم ما ذهبت إليه الشيعة الاثنا عشرية من أن خلفاء رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه هم الأئمة الاثنا عشر من أهل البيت عليه السلام. فقد أخرج إبراهيم بن محمد الحموي الشافعي في فرائد السبطين بسنده عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن أبي طالب قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه (وال الحديث طويل جداً) وفيه قوله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «فنظرت فرأيت اثني عشر نوراً، وفي كل نور سطر أخضر عليه اسم وصيٌّ من أوصيائي، أوَّلهم علىٰ وآخرهم القائم المهدى»<sup>(١)</sup>.

وأخرج بسنده عن علي بن معد، عن الحسين بن خالد عن علي بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن أبيه عليه السلام، قال: قال: رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «من أحبَّ أن يستمسك بدینی

(١) فرائد السبطين ج ٢: ص ٧٩، ورواه القندوزي الحنفي في كتابه ينابيع

المودة ج ٣: ص ٣٧٧

ويركب سفينة النجاة بعدي فليقتد بعليٰ ابن أبي طالب وليعاد عدوه وليوال ولية، فإنه وصيي وخليفي على أمّتي في حياتي وبعد وفاتي وهو إمام كل مسلم وأمير كل مؤمن بعدي، قوله قولي وأمره أمري ونبيه نبيي وتابعه تابعي وناصره ناصري وخاذله خاذلي»، ثم قال عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَارَكُ: «من فارق علياً بعدى لم يرني ولم أره يوم القيمة، ومن خالف علياً حرم الله عليه الجنة وجعل مأواه النار، ومن خذل علياً خذله الله يوم يعرض عليه، ومن نصر علياً نصره الله يوم يلقاه ولقنه حجّته عند المسألة»، ثم قال عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَارَكُ: «والحسن والحسين إماماً أمّتي بعد أبيهما وسيداً شباب أهل الجنة، وأمهما سيدة نساء العالمين، وأباهما سيد الوصيين، ومن ولد الحسين تسعة أئمة تاسعهم القائم من ولدي، طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي، إلى الله أشكو المنكري لفضلهم والضيّعين لحرمتهم بعدي وكفى بالله ولياً وناصرأً لعرقي وأئمة أمّتي

ومتقماً من المحادين حقّهم وسيعلم الذين ظلموا أيّ  
منقلب ينقلبون»<sup>(١)</sup>.

وأخرج القندوزي الحنفي في ينابيع المودة بسنده وعن  
عباية بن ربيع عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد  
النبيين وعليّ سيد الوصيّين، وإنّ أوصيائي بعدي اثنا عشر،  
أولهم على علّة وآخرهم القائم المهدى»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج بسنده عن أبي الطفيلي عامر بن واثلة قال: جاء  
يهودي من يهود المدينة إلى علي عليه السلام قال: إني أسألك عن  
ثلاث وثلاث وعن واحدة، فقال علي: «لم لا تقول أسألك  
عن سبع؟» قال: أسألك عن ثلاث فإن أصبت فيهن سألك  
عن الثلاث الآخر، فإن أصبت فيهن سألك عن الواحدة،  
فقال علي: «ما تدرى إذا سألتني فأجبتك أخطأت أم

---

(١) فرائد السلطين ج ٢: ص ٣١٣

(٢) ينابيع المودة ج ٢: ص ٣١٦

أصبت؟» فأخرج اليهودي من كمّه كتاباً عتيقاً، قال: هذا ورثته عن آبائي وأجدادي عن هارون جدي إملاء موسى بن عمران وخطّ هارون بن عمران عليه السلام، وفيه هذه المسألة التي أسألك عنها، قال عليٌّ: «إن أجبتك بالصواب فيهنّ لتسليم؟»، فقال: والله أسلم الساعة على يديك إن أجبتني بالصواب فيهنّ، قال له: «سل»، قال: أخبرني عن أول حجر وضع على وجه الأرض وعن أول شجرة نبت على وجه الأرض، قال: «أما أول حجر وضع على وجه الأرض فإنّ اليهود يزعمون أنها صخرة بيت المقدس وكذبوا ولكن هو الحجر الأسود نزل به آدم عليه السلام من الجنة فوضعه في ركن البيت والناس يتمسّحون به ويقبلونه ويجدّدون العهد والميثاق، لأنّه كان ملكاً ابتلع كتاب العهد والميثاق وكان مع آدم في الجنة، فلما خرج آدم خرج هو فصار حجراً»، قال اليهودي: صدقت، قال عليٌّ: «واما أول شجرة نبت على الأرض فإنّ اليهود يزعمون أنها الزيتونة وكذبوا، ولكنها

نخلة من العجوة نزل بها آدم عليه السلام من الجنة فأصل كل النخلة العجوة»، قال اليهودي: صدقت، قال علي عليه السلام: «وأماماً أول عين نبعت على وجه الأرض فإن اليهود يزعمون أنها العين التي كانت تحت صخرة بيت المقدس وكذبوا ولكنها عين الحياة التي نسى عندها صاحب موسى السمسكة الملاحة، فلما أصابها ماء العين حييت وعاشت وشربت منه فاتّبعها موسى وصاحب الخضر عليه السلام»، قال اليهودي: صدقت، قال علي: «سل عن الثالث الآخر»، قال: أخبرني كم لهذه الأمة بعد نبيها من إمام، وأخبرني عن منزل محمد أين هو في الجنة، وأخبرني من يسكن معه في منزله؟ قال علي: «لهذه الأمة بعد نبيها اثنا عشر إماماً لا يضرّهم خلاف من خالفهم»، قال اليهودي: صدقت، قال علي: «ينزل محمد عليه السلام في جنة عدن وهي وسط الجنان وأعلاها وأقربها من عرش الرحمن جل جلاله»، قال اليهودي: صدقت، قال علي: «والذي يسكن معه في الجنة هؤلاء الأئمة الاثنا عشر،

أوْلَئِمْ أَنَا وَآخْرُنَا الْقَائِمُ الْمَهْدِيُّ»، قَالَ: صَدِقْتَ، قَالَ عَلَيْهِ: «سُلْ عَنِ الْوَاحِدَةِ»، قَالَ: أَخْبُرْنِي كَمْ تَعْيِشُ بَعْدَ نَبِيِّكَ وَهَلْ تَمُوتُ أَوْ تُقْتَلُ؟ قَالَ: «أَعْيِشُ بَعْدَهُ ثَلَاثَيْنَ سَنَةً وَتَحْضُبُ هَذِهِ» أَشَارَ بِلِحِيَتِهِ، (مِنْ هَذَا) أَشَارَ بِرَأْسِهِ الشَّرِيفِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ وَصِيٌّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ<sup>(١)</sup>.

وَأَخْرَجَ الْحَمْوَيْنِيُّ الْجَوَيْنِيُّ فِي فَرَائِدِ السَّمَطِينِ عَنْ بَسِندِهِ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، قَالَ: لَمَّا احْتَضَرَ أَبُو جَعْفَرَ مُحَمَّدَ بْنَ عَلَيِّ عِنْدَ الْوَفَاءِ دَعَا بَابِنِهِ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَعْهُدْ إِلَيْهِ عَهْدًا، فَقَالَ لَهُ أَخْرُوهُ زَيْدَ بْنَ عَلَيِّ: لَوْ امْتَشَلتِ فِي تَمَثَّلِ الْحَسَنِ وَالْحَسِينِ عَلَيْهِمَا لَرْجُوتُ أَنْ لَا تَكُونَ أَتَيْتَ مِنْكَرًا!! فَقَالَ لَهُ: «يَا أَبَا الْحَسِينِ، إِنَّ الْأَمَانَاتِ لَيْسَ بِالْمِثَالِ وَلَا الْعَهُودَ بِالسُّومِ، وَإِنَّمَا هِيَ أُمُورٌ سَابِقَةٌ عَنْ حَجَّاجِ اللَّهِ تَبارَكَ وَتَعَالَى»، ثُمَّ دَعَا بِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ

---

(١) يَنَابِيعُ الْمُودَّةِ ج٣: ص ٢٨٥

الله، فقال له: «يا جابر، حدثنا بما عاينت من الصحيفة»،  
قال له جابر: نعم يا أبا جعفر، دخلت على مولاي فاطمة  
بنت رسول الله ﷺ لأهنتها بمولد الحسين علّيَّهُ، فإذا بيدها  
صحيفة من درة بيضاء، فقلت: يا سيدة النسوان، ما هذه  
الصحيفة التي أراها معك: قالت: «فيها أسماء الأئمة من  
ولدي»، فقلت لها: تاوليني لأنظر فيها؟ قالت: «يا جابر،  
لولا النهي لكنت أفعل، لكنه قد نهي أن يمسها إلانبي أو  
وصي أو أهل بيتنبي، ولكنه مأذون لك أن تنظر إلى بطنها  
من ظاهرها»، قال جابر: فقرأت فإذا: «أبو القاسم محمد بن  
عبد الله المصطفى وأمه آمنة، أبو الحسن علي بن أبي طالب  
المرتضى أمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أبو  
محمد الحسن بن علي، وأبو عبد الله الحسين بن علي التقى،  
أمّها فاطمة بنت محمد، أبو محمد علي بن الحسين العدل أمّه  
شاه بانيه بنت يزدجرد بن شاهنشاه، أبو جعفر محمد بن  
علي الباقي أمّه عبد الله بنت الحسن بن علي ابن أبي طالب،

أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق أمّه أم فروة بنت القاسم  
بن محمد بن أبي بكر، أبو إبراهيم موسى بن جعفر الثقة أمّه  
جارية اسمها حميدة، أبو الحسن علي بن موسى الرضا أمّه  
جارية اسمها نجمة، أبو جعفر بن محمد بن علي الزكي أمّه  
جارية اسمها خيزران، أبو الحسن علي بن محمد الأمين أمّه  
جارية اسمها سوسة، أبو محمد الحسن بن علي الرفيق أمّه  
جارية اسمها سمانة، أبو القاسم محمد بن الحسن هو حجّة  
الله القائم أمّه جارية اسمها نرجس (صلوات الله عليهم  
أجمعين)»<sup>(١)</sup>.

وأخرج بسنده عن واثلة بن الأصقع بن قرخاب عن  
جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخل جندل بن جنادة بن  
جبير اليهودي على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، أخبرني  
عما ليس لله وما لا يعلمه الله، فقال ﷺ:

---

(١) فرائد السبطين ج ٢: ص ١٤٠

«أَمّا مَا لِيْسَ لِللهِ فَلِيْسَ لِللهِ شرِيكٌ، وَأَمّا مَا لِيْسَ عَنِ الدِّينِ فَلِيْسَ  
عَنِ الدِّينِ ظُلْمٌ لِلْعِبَادِ، وَأَمّا مَا لَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ فَذَلِكَ قَوْلُكُمْ يَا  
مُعْشَرَ الْيَهُودِ: إِنَّ عَزِيزَ ابْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَعْلَمُ أَنَّ لَهُ وَلَدًا، بَلْ  
يَعْلَمُ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ وَعَبْدٌ»، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ  
رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا وَصَدِيقًا، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحةَ فِي النَّوْمِ  
مُوسَى بْنُ عُمَرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا جَنَدُلُ، «أَسْلِمْ عَلَى يَدِ مُحَمَّدٍ  
خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَاسْتَمِسْكْ أَوْصِيَائِهِ مِنْ بَعْدِهِ»، فَقَلَتْ: أَسْلِمْ،  
فَلَلَّهِ الْحَمْدُ أَسْلَمْتُ وَهَدَانِي بِكَ، ثُمَّ قَالَ: أَخْبَرْنِي يَا رَسُولَ  
اللهِ عَنْ أَوْصِيَائِكَ مِنْ بَعْدِكَ لِأَتَمِسْكَ بِهِمْ، قَالَ: «أَوْصِيَائِي  
الْاثْنَا عَشَرَ»، قَالَ جَنَدُلُ: هَكُنَا وَجَدْنَاهُمْ فِي التُّورَاةِ، وَقَالَ:  
يَا رَسُولَ اللهِ سَمِّهِمْ لِي، فَقَالَ: «أَوْلَهُمْ سَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ أَبُو  
الْأَئِمَّةِ عَلِيٌّ، ثُمَّ ابْنَاهُ الْحَسَنُ وَالْحَسِينُ فَاسْتَمِسْكْ بِهِمْ وَلَا  
يَغْرِّنُكَ جَهْلُ الْجَاهِلِينَ، فَإِذَا وَلَدَ عَلِيٌّ بْنَ الْحَسِينِ زِينَ  
الْعَابِدِينَ يَقْضِيَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَيَكُونُ آخِرُ زَادَكَ مِنَ الدُّنْيَا شَرْبَةَ  
لِبَنٍ تَشْرَبُهُ»، فَقَالَ جَنَدُلُ: وَجَدْنَا فِي التُّورَاةِ وَفِي كِتَابِ

الأنبياء عليه السلام إيليا وشيراً وشيراً فهذه اسم عليٰ والحسن والحسين، فمن بعد الحسين وما أساميهم؟ قال: «إذا انقضت مدة الحسين فالإمام ابنه عليٰ ويلقب بزين العابدين، فبعدة ابنه محمد يلقب بالباقر، فبعدة ابنه جعفر يدعى الصادق، فبعدة ابنه موسى يدعى بالكاظم، فبعدة ابنه عليٰ يدعى بالرضا، فبعدة ابنه محمد يدعى بالتقي والزكي، فبعدة ابنه عليٰ يدعى بالنقي والهادي، فبعدة ابنه الحسن يدعى بالعسكري، فبعدة ابنه محمد يدعى بالمهدى والقائم والحجّة فيغيب ثم يخرج فإذا خرج يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مثلت جوراً وظلاماً طوبى للصابرين في غيبته طوبى للمقيمين على محبتهم، أولئك الذين وصفهم الله في كتابه وقال: ﴿هُدَى لِلْمُتَّقِينَ • الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، ثم قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُوَ الْمُفْلِحُونَ﴾، فقال جندل: الحمد لله وفقني بمعرفتهم ثم عاش إلى أن كانت ولادة عليٰ بن الحسين، فخرج إلى الطائف ومرض وشرب

لِبَنًا وَقَالَ: أَخْبَرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ يَكُونُ آخْرُ زَادِي مِنَ الدُّنْيَا شَرْبَةً لَبَنٍ وَمَاتَ وُدُفِنَ بِالطَّائِفَ بِالْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِالْكَوْزَارَةِ<sup>(١)</sup>.

وَأَخْرَجَ الْحَمْوِينِيُّ بِسُنْدِهِ عَنْ سَلِيمِ بْنِ قَيْسِ الْهَلَالِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ عَلَيْهِ أَنَّ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ فِي خَلَافَةِ عَشَّانَ وَأَنَّ جَمَاعَةَ الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ يَذَاكِرُونَ فِضَائِلَهُمْ وَعَلَيْهِ سَكَتَ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْحَسْنِ تَكَلَّمُ، فَقَالَ: «يَا مَعْشِرَ قَرِيشٍ وَالْأَنْصَارِ، أَسْأَلُكُمْ مَمْنَنْ أَعْطَاهُمُ اللَّهُ هَذَا الْفَضْلُ، أَبَأْنَفْسِكُمْ أَوْ بَغْيَرِكُمْ؟» قَالُوا: أَعْطَانَا اللَّهُ وَمَنْ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ ﷺ، إِلَى أَنْ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ فِي غَدِيرِ خَمٍّ: أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَوْلَايُ وَأَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَا أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ؟» قَالُوا: بَلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ آخِذًا بِيَدِي: مَنْ كَنْتَ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالَّذِي وَالَّذِي وَعَادَ مِنْ عَادَهُ، فَقَامَ سَلِيمَانُ

---

(١) يَنَابِيعُ الْمُودَّةِ ج٣: ص٢٨٣

وقال: يا رسول الله ولاء عليّ ماذا؟ قال: ولاؤه كولائي، من كنت أولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه، فنزلت ﴿إِنَّمَا أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتَمَّنَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَةٍ وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، فقال ﷺ: الله اكبر بإكمال الدين وإتمام النعمة ورضاء رب بر سالتني وولاية عليّ بعدي، قالوا: يا رسول الله، هذه الآيات في عليّ خاصة؟ قال: بلى، فيه وفي أوصيائى إلى يوم القيمة، قالوا: بينهم لنا قال: عليّ أخي ووارثي ووصيّي ووليّ كلّ مؤمن بعدي، ثمّ ابني الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ التسعة من ولد الحسين، القرآن معهم وهم مع القرآن لا يفارقونه ولا يفارقونه حتى يردوا على الحوض»، قال بعضهم: قد سمعنا ذلك وشهدنا، وقال بعضهم: قد حفظنا جلّ ما قلت ولم نحفظ كله وهو لاء الذين حفظوا أخيارنا وأفاضلنا، ثمّ قال: «أتعلمون أنّ الله أنزل ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ إِذْ هِبَتْ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلَ الْبَيْتِ وَبَطَّهُرَ كُرْنَطَهِيْرًا﴾ فجمعني وفاطمة وابني حسناً وحسيناً ثمّ ألقى علينا كساماً وقال:

اللّهم هؤلاء أهل بيتي، لحمهم لحمي، يؤلمني ما يؤلمهم  
 ويجرحني ما يجرحهم، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم  
 تطهيرًا، فقالت أم سلمة: وأنا يا رسول الله؟ فقال: أنت إلى  
 خير، فقالوا: نشهد أنّ أم سلمه حدثنا بذلك، ثم قال:  
 «أنشدكم الله أتعلمون أنّ الله أنزل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْقُوا  
 اللَّهُ وَكُوْنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، فقال سليمان: يا رسول الله، هذا  
 عامة أم خاصة؟ قال: أمّا المأمورون فغاية المؤمنين وأمّا  
 الصادقون فخاصة علىٰ وأوصيائي من بعده إلى يوم  
 القيمة»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الحموياني الجويوني في فرائد السقطين بسنده عن  
 ابن عباس قال: قدم يهودي على رسول الله ﷺ يقال له  
 نعشل، فقال له: يا محمد إني أسألك عن أشياء تلجلج في  
 صدري منذ حين، فإن أجبتني عنها أسلمت على يدك، قال:

(١) ينابيع المودة ج ١: ص ٣٤١

«سل يا أبا عمارة»، قال: يا محمد، صفت لي ربّك، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنَّ الْخَالقَ لَا يوصِفُ إِلَّا بِمَا وصفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَكَيْفَ يوصِفُ الْخَالقَ الَّذِي تَعْجَزُ الْأَوْصافُ أَنْ تَدْرِكَهُ وَالْأَوْهَامُ أَنْ تَنْالَهُ وَالْخَطْرَاتُ أَنْ تَحْدَهُ وَالْأَبْصَارُ إِلَيْهِ جَلَّ عَمَّا يَصْفُهُ الْوَاصِفُونَ، نَأْيٌ فِي قُرْبِهِ وَقَرْبٌ فِي نَأْيٍ، كَيْفَ الْكِيفُ فَلَا يَقُولُ لَهُ كَيْفٌ، وَأَيْنَ الْأَيْنُ فَلَا يَقُولُ لَهُ أَيْنٌ، هُوَ مُنْقَطِعٌ الْكِيفُوَفِيَّةُ وَالْأَيْنُوَفِيَّةُ، فَهُوَ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ كَمَا وصفَ نَفْسَهُ، وَالْوَاصِفُونَ لَا يَبْلُغُونَ نَعْتَهُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كَفُواً أَحَدًا»، قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن قولك إنَّهُ واحدٌ لا شبيه له، أليس اللهُ واحدٌ والإنسانُ واحدٌ؟ فوحدانيَّته أشبهت وحدانيَّةَ الإنسانِ! فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اللهُ تَعَالَى وَاحِدٌ (أَحَدِي) الْمَعْنَى وَالْإِنْسَانُ وَاحِدٌ ثَنَائِيُّ الْمَعْنَى جَسْمٌ وَعَرْضٌ وَبَدْنٌ وَرُوحٌ، وَإِنَّمَا التَّشْبِيهُ فِي الْمَعْنَى لَا فِي الْأَغْيَرِ»، قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن وصيتك من هو، فما من نبِيٍّ إِلَّا وله وصيٌّ، وإنَّ نبِيَّنَا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون؟

فقال: «نعم، إنّ وصيي وال الخليفة من بعدي عليّ بن أبي طالب وبعده سبطاي الحسن والحسين يتلوه تسعه من صلب الحسين أئمة أبراراً»، قال: يا محمد، فسمّهم لي، قال: «نعم، فإذا مضى الحسين فابنه عليّ، فإذا مضى عليّ فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه عليّ، فإذا مضى عليّ فابنه محمد، ثمّ ابنته علىّ، ثمّ ابنته الحسن، ثمّ الحجة بن الحسن، فهذه اثنا عشر أئمة عدد نقباء بنى إسرائيل»، قال: فأين مكانهم في الجنة؟ قال: «معي في درجتي»، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّك رسول الله وأشهد أئمّة الأوصياء بعده، ولقد وجدت هذا في الكتب المتقدّمة وفيها عهد إلينا موسى بن عمران أَنَّه إِذَا كان آخر الزمان يخرج نبيّ يقال له أَحمد خاتم الأنبياء لَا نَبِيّ بعده، فيخرج من صلبه أئمة أبرار عدد الأسباط، قال: فقال: «يا أبا عمارة أتعرف الأسباط؟» قال: نعم يا رسول الله، إِنَّهُمْ كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ، قال: «إِنَّ أَوْلَهُمْ لَاوِي بْنَ بَرْخِيَا

وهو الذي غاب عنبني إسرائيل غيبة، ثم عاد فأظهر الله شريعته بعد دراستها وقاتل مع قرسطيا الملك حتى قتلها<sup>(١)</sup>. وإلى غير ذلك من الروايات الواردة في المقام في كتب أهل السنة وهي واضحة الدلالة على أنّ الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام.

### اختلاف أهل السنة في الخلفاء الاثني عشر والنقض على تبّطّهم

لقد حاول علماء أهل السنة كشف المراد بالخلفاء الاثني عشر في الأحاديث السابقة بما يتّفق مع مذهبهم ويلتئم مع معتقدهم، فذهبوا ذات اليمين وذات الشمال لا يهتدون إلى شيء.

وحاولوا جاهدين أن يصرّفوا هذه الأحاديث عن أئمة أهل البيت عليهم السلام و يجعلونها في غيرهم من لا تنطبق عليهم

---

(١) فرائد السبطين ج ٢: ص ١٢٢

الأوصاف الواردة فيها، فتاهوا وتحيّروا حتّى ذهبوا إلى مذاهب عجيبة وصدرت منهم أقوال غريبة، وأقرّ بعضهم بالعجز واعترف ببعضهم بعدم وضوح معنى هذه الأحاديث ترکن إليه النفس.

قال ابن الجوزي في كشف المشكّل: هذا الحديث قد أطلّتُ البحث عنه، وتطلّبْتُ مظانه، وسألتُ عنه، فما رأيت أحداً وقع على المقصود به...<sup>(١)</sup>.

وقال ابن بطال عن المهلب: لم ألق أحداً يقطع في هذا الحديث -يعني بشيء معين-.<sup>(٢)</sup>

لقد كثرت أقوالهم في هذه المسألة واختلفت آراؤهم اختلافاً عظيماً وتضاربت تضارباً شديداً، ومع كثرة تلك

---

(١) كشف المشكّل في الصحيحين لعبد الرحمن بن الجوزي الحنفي ج ١: ص ٤٤٩

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال البكري الفرطبي ج ٨: ص ٢٨٧

الأقوال لا تجد فيها قولًا خالياً من الخدش والخلل، وأهم ما عثرنا عليه من أقوالهم في هذه المسألة هي الأقوال التالية، وإليك بيانها وبيان ما فيها:

قال القاضي عياض: لعل المراد بالاثني عشر في هذه الأحاديث وما شابهها أنهم يكونون في مدة عزة الخلافة وقوّة الإسلام واستقامة أمره والمجتمع على من يقوم بالخلافة، وقد وُجد فيمن اجتمع عليه الناس إلى أن اضطرب أمربني أميّة ووَقعت بينهم الفتنة زمن الوليد بن يزيد، فاتصلت بينهم إلى أن قامت الدولة العباسية، فاستأصلوا أمرهم<sup>(١)</sup>.

وقال ابن حجر العسقلاني: كلام القاضي عياض أحسن ما قيل في الحديث وأرجحه، لتأييده بقوله في بعض طرق الحديث الصحيحة: كلّهم يجتمع عليه الناس<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ج ٢: ص ٥٨٢

(٢) انظر فتح الباري في شرح البخاري ج ١٣: ص ١٨٢

وقال السيوطي تعليقاً على كلام ابن حجر ما هذا نصّ عبارته: إيضاح ذلك أنّ المراد بالمجتمع انقيادهم لبيعته، والذى وقع أنّ الناس اجتمعوا على أبي بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان ثمّ عليّ، إلى أن وقع أمر الحَكَمَيْن فِي صَفَّيْن، فتسَمَّى معاوية يومئذ بالخلافة، ثمّ اجتمع الناس على معاوية عند صلح الحسن، ثمّ اجتمعوا على ولده يزيد ولم يتنظم للحسين أمر بل قُتل قبل ذلك، ثمّ لَمْ مات يزيد وقع الاختلاف إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير، ثمّ اجتمعوا على أولاده الأربع: الوليد ثمّ سليمان ثمّ يزيد ثمّ هشام، وتخَلَّ بين سليمان ويزيد: عمر بن عبد العزيز، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين، والثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك، اجتمع الناس عليه لَمْ مات عمّه هشام، فوَلَى نحو أربع سنين، ثمّ قاموا عليه فقتلوه

وانتشرت الفتن وتغيرت الأحوال من يومئذ ولم يتفق أن يجتمع الناس على خليفه بعد ذلك...<sup>(١)</sup> . وهذا هو قول البيهقي أيضاً في دلائل النبوة، حيث قال بعد أن ساق بعضاً من الأحاديث السابقة: وقد وُجد هذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ثم وقع المهرج والفتنة العظيمة كما أخبر في هذه الرواية، ثم ظهر ملك العباسية...<sup>(٢)</sup> . ثم قال: والمراد بإقامة الدين - والله أعلم - إقامة معالمه وإن كان بعضهم يتعاطى بعد ذلك ما لا يحل<sup>(٣)</sup> .

أقول: أولاًً يرد على هذا القول وسائر أقوالهم ما رواه القوم عن سفينة عن النبي ﷺ أنه قال: الخلفاء ثلاثة

(١) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطى: ص ١٤

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقي ج ٦: ص ٥٢٠

(٣) انظر دلائل النبوة للبيهقي ج ٦: ص ٥٢١

سنة، ثم تكون بعد ذلك ملكاً<sup>(١)</sup>. فاستناداً إلى هذا الحديث صرّحوا بأنّ الخلافة عندهم منحصرة في أربعة: أبي بكر وعمر وعثمان وعليٌ عَلِيهِ الْكَلَمَةُ، أو خمسة بضميه عمر بن عبد العزيز، فكيف صار غير هؤلاء خلفاء مع أنّ الحديث نصّ على أنّ ما بعد ثلاثين سنة لا تكون خلافة، بل يكون ملك؟ وفي سنن الترمذى: قال سعيد: فقلت له (أي لسفينة راوى الحديث): إنّ بنى أمّة يزعمون أنّ الخلافة فيهم، قال: كذبوا بنو الزرقاء، بل هم ملوك من شّرّ الملوك<sup>(٢)</sup>. وفي سنن أبي داود: قلت لسفينة: إنّ هؤلاء يزعمون أنّ عليّاً لم يكن بخليفة، قال: كذبت أستاه بنى الزرقاء - يعني بنى مروان -<sup>(٣)</sup>. وقال القاضي عياض وغيره في الجمع بين

(١) انظر مستند أحمد بن حنبل ج ٥: ص ٢٢٠

(٢) انظر سنن الترمذى ج ٣: ص ٣٤١

(٣) انظر سنن أبي داود ج ٢: ص ٤٠١

حديث سفينة وحديث الخلفاء الاثني عشر : إنّه أراد في  
 حديث سفينة خلافة النبوة ولم يقيّده في حديث جابر بن  
 سمرة بذلك<sup>(١)</sup>. وقال الألباني : وهذا جمع قويّ ويؤيّده لفظ  
 أبي داود : (خلافة النبوة ثلاثة ثلثون سنة)، فلا ينافي مجيء خلفاء  
 آخرين من بعدهم، لأنّهم ليسوا خلفاء النبوة، فهؤلاء هم  
 المعنيّون في الحديث لا غيرهم، كما هو واضح<sup>(٢)</sup>.  
 ويردّه : أنّ خلافة النبوة هذه لم يذكر لها علماء أهل السنة  
 معنى واضحًا واحتلّفوا في بيان المراد منها، فمنهم من قال :  
 بأنّ خلافة النبوة هي التي لا طلب فيها للملك ولا منازعة  
 فيها لأحد. فعليه تخرج خلافة مولانا الإمام أمير المؤمنين  
 الإمام على عَلَيْهِ السَّلَامُ عن كونها خلافة النبوة، لمنازعة أهل الجمل

(١) انظر فتح الباري ج ١٣: ص ١٨٠

(٢) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ١: ص ٧٤٨

وأهل النهروان ومعاوية وأهل الشام له، مع أنهم ذكروا أن خلافته عليها خلافة النبوة، وهذا تهافت واضح.

ومنهم من ذكر أن خلافة النبوة إنما تكون لمن عملوا بالسنة، فإذا خالفوا السنة وبدلوا السيرة فهم ملوك وإن تسموا بالخلفاء<sup>(١)</sup>. وعليه تكون خلافة النبوة أكثر من ثلاثة سنّة، لأنّاقهم على أن عمر بن عبد العزيز كان يعمل بالسنة ولعدّهم إياه من الخلفاء الراشدين، مع أنهم لم يذكروه من ضمن من كانت خلافتهم خلافة نبوة. ومنهم من قال: إن المراد بالخلافة في حديث سفينة هي الخلافة الحقة أو المرضيّة لله ورسوله، أو الكاملة، أو المتصلة<sup>(٢)</sup>. وعليه فتكون خلافة النبوة هي خلافة مولانا الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي

(١) انظر شرح السنة للبغوي ج ١٤: ص ٧٥، وفيض القدير للمناوي ج ٣: ص ٥٩

(٢) انظر مرقة المفاتيح للملأ علي القاري ج ٩: ص ٢٧٣

طالب علّيٰ وابنه الحسن علّيٰ فقط دون غيرهما، لأنّ إجماع الأمة بجميع مذاهبها قامت على إمامتها دون غيرهما، وهذا دليل على أنّ خلافتها كانت هي الخلافة الحقة أو المرضية لله ورسوله، أو الكاملة، أو المتصلة.

ولو سلّمنا أنّ خلافة الأربعـة كانت مرضية لله ورسوله أو كاملة أو غير ذلك فلا بدّ أن يضاف إليها عندهم خلافة عمر ابن عبد العزيز، فتكون خلافة النبوة حينئذ أكثر من ثلاثين سنة.

والصحيح أن يقال في هذا الحديث على تقدير صحته: إنّ خلافة النبوة لا يمكن أن يراد بها إلّا الخلافة التي كانت بنصّ النبي ﷺ، فمن استخلفه النبي ﷺ على الأمة فهو خليفة النبي ﷺ، وخلافته هي خلافة النبوة، ومن لم يستخلفه واستخلفه الناس فهو خليفتهم، لا خليفة رسول الله ﷺ، فإنّ خليفة رسول الله ﷺ حقاً هو من استخلفه

رسول الله ﷺ وهو الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ الْكَفَافُ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ .

وعليه يكون معنى حديث سفينة: إن خلافة النبوة - وهي خلافة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ الْكَفَافُ - تستمر إلى ثلاثة سنّة، ثم يتولى أمور المسلمين الملوك. وعدم تمكن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ الْكَفَافُ من تولي أمور المسلمين أو عدم اتّباع الناس له إلا النفر القليل لا يسلب عنه الخلافة بعد حكم الشارع المقدّس بها ونصلّى عليهما، وهذا له نظائر كثيرة في الأصول والفروع لا تخفي، منها أنّ وصف الرسالة والنبوة لا يرتفع عن النبي ﷺ والرسول بسبب عدم اتّباع الناس له. ومنها: صاحب المال أو الحقّ لا يحكم بصيغة المال أو الحقّ لغيره بمجرد عدم تمكنه من التصرّف فيه أو إحقاق حقّه وتتمكن غيره منه، وهو واضح معلوم.

وأمّا حديث الخلفاء الاثني عشر فهو بيان لعدد أئمه المدّى وخلفاء الحقّ وسادة الخلق المنصوبين من الله سبحانه، الذين لا يضرّهم من نواهيم، ويكون الإسلام بهم عزيزاً، وبذلك يتّضح أن لا منافاة بين الحديثين بهذه المعนّين.

وثانياً: إنّ أكثر من ذكرهم لم يجتمع عليه الناس، فإنّ عثمان وإن تمت له البيعة واجتماع الناس في أول خلافته، إلا أنّ الأمور انتقضت عليه بعد ذلك حتّى قتلها الناس، وأمّا الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فلم يجتمع عليه الناس من أول يوم في خلافته، وذلك لأنّ أهل الشام لم يبايعوه وهم كثيرون، وخرج عليه طلحة والزبير وعائشة فحاربهم في البصرة، ثمّ خرج عليه الخوارج فحاربهم في النهروان... وكل ذلك كان في أقلّ من خمس سنين. قال ابن أبي العزّ الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية: عليّ عليه السلام ... لم يجتمع الناس في زمانه بل كانوا مختلفين، لم يتنظم فيه خلافة

النبوة ولا الملك<sup>(١)</sup>. فعلى ذلك لا يكون الإمام أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ من هؤلاء الخلفاء عندهم. وأماماً يزيد بن معاوية فلم يبايعه الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهل بيته حتى استشهدوا وقتلوا في كربلاء، وخرج عليه أهل المدينة، وأخرجوها منها عامله وسائر بنى أمية، فوافقت بينهم وبينه وقعة الحرّة، وخرج عليه ابن الزبير في مكة واستولى عليها... فأيّ اجتماع حصل له؟!!

وثالثاً: إنّ معاوية ومن جاء بعده من ملوك بنى أمية وغيرهم لم يجتمع عليهم الناس بل كانوا متغلّبين على الأمة بالقوة والقهر، ومن الواضح أنّ هناك فرقاً بيناً بين اجتماع الناس على شيء وجمعهم عليه، فإنّ الاجتماع مأخوذ في معناه اختيار المجتمعين، وأماماً الجمع فمأخوذ فيه عدم الاختيار، والذي حصل لبني أمية هو الثاني، والمذكور في

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية: ص ٤٧٣

الحديث هو الأول، وهذا واضح معلوم لمن نظر في تاريخ بني أمية وسيرتهم في الناس. وقد روی فيما يدلل ذلك الكثير، ومنه ما روی عن سعید بن سوید، قال: صلّى لنا معاویة بالنخيلة - يعني خارج الكوفة - الجمعة في الضحى، ثم خطبنا فقال: ما قاتلتكم تصوموا ولا تصلوا ولا تحجّوا ولا تزكّوا، قد عرفت أنّكم تفعلون ذلك، ولكن إنّما قاتلتكم لأنّا أمرناكم، فقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون<sup>(١)</sup>.

ورابعاً: إنّ الخلفاء حسبما ذكر القاضي عياض في كلامه يكونون ثلاثة عشر لا اثنين عشر، وهم: ١ - أبو بكر ٢ - عمر ٣ - عثمان ٤ - الإمام علي<sup>عليه السلام</sup> ٥ - معاویة ٦ - يزيد بن معاویة ٧ - عبد الملك ٨ - الوليد ٩ - سليمان ١٠ - عمر بن

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثیر ج ٨: ص ١٤٠

عبد العزيز ١١ - يزيد بن عبد الملك ١٢ - هشام بن عبد الملك ١٣ - الوليد بن يزيد.

وقال ابن كثير: إنَّ الخلفاء إلى زمن الوليد بن يزيد أكثر من اثنى عشر على كُلّ تقدير<sup>(١)</sup>. وقال ابن حجر العسقلاني: الأولى أن يحمل قوله: (يكون بعدي اثنا عشر خليفة) على حقيقة البُعدية، فإنَّ جميع من ولَى الخلافة من الصديق إلى عمر بن عبد العزيز أربعة عشر نفساً، منهم اثنان لم تصح ولاليتهما ولم تطل مدةِهما، وهما معاویه بن يزيد، ومروان بن الحكم، والباقيون اثنا عشر نفساً على الولاء كما أخبرَ اللَّهُ ... إلى أن قال: ولا يقبح في ذلك قوله: (يجتمع عليه الناس)، لأنَّه يُحمل على الأكثر الأغلب، لأنَّ هذه الصفة لم تفقد إلا في الحسن بن عليٍّ وعبد الله بن الزبير مع صحة ولاليتهما،

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٨: ص ٢٧٩

والحكم بـأنّ من خالفهما لم يثبت استحقاقه إلّا بعد تسليم  
الحسن، وبعد قتل ابن الزبير، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

أقول: على هذا القول يكون الخلفاء الاثنا عشر هم: ١ -  
أبو بكر ٢ - عمر ٣ - عثمان ٤ - الإمام علي<sup>عليه السلام</sup> ٥ - الإمام  
الحسن<sup>عليه السلام</sup> ٦ - معاوية ٧ - يزيد بن معاوية ٨ - عبد الله  
ابن الزبير ٩ - عبد الملك ١٠ - الوليد ١١ - سليمان ١٢ -  
عمر بن عبد العزيز. قوله: (يجتمع عليه الناس) محمول على  
الأكثر الأغلب، ويردّه أنّ مجىء التأكيد بـ(كلّ) في  
قوله<sup>عليه السلام</sup>: (كلّهم يجتمع عليه الناس) الدالّ بالنصّ على  
العموم يقدح في هذا القول.

هذا مع أن الصفة المذكورة - وهي اجتماع الناس -  
فقدت في غير الإمام الحسن<sup>عليه السلام</sup> وابن الزبير كما مرّ آنفاً.

---

(١) انظر فتح الباري ج ١٣: ص ١٨٢

وقوله: (إنّ معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم لم تصحّ  
ولا يلتهمها) يردّه أنّ يزيد بن معاوية إنّ كانت ولايته صحيحة  
كما قال، فنصّ يزيد على ابنه من بعده يصحّح ولايته بلا  
ريب ولا شبهة وإن لم تطل مدّته. وإن كان التغلب على أمور  
المسلمين يصحّح خلافة معاوية، فتغلب مرwan بعد ذلك  
مصحّح لخلافته.

ثم إنّ جعله طول الولاية دليلاً على صحتها واعتبارها لا  
يمكن التسليم به، فإنه لم يقل به أحد، هذا مع أنّه اعتبر ولاية  
الإمام الحسن عليه السلام التي دامت ستة أشهر، ولم يعتبر ولاية  
مروان بن الحكم التي دامت نفس المدة.

ومن الغريب أنّه زعم أنّ عبد الملك بن مروان لم يثبتت  
استحقاقه للخلافة إلاّ بعد قيامه على الخليفة الحقّ عنده  
آنذاك وهو عبد الله بن الزبير وقتله.

والذى يظهر من كلام ابن حجر أنّه يرى أنّ كلّ أولئك  
الحكّام كانوا متأهّلين للخلافة مستحقّين لها، مع أنّ يزيد بن

معاويه مثلاً لا يختلف المنصفون في عدم أهلية للخلافه  
وعدم استحقاقه لها، لأنّه تولى ثلاث سنين: السنة الأولى قتل  
فيها الإمام الحسين عليه السلام، والسنة الثانية أباح فيها المدينة،  
والسنة الثالثة هدم فيها الكعبة... فكيف يكون من الخلفاء  
الذين يكون الإسلام بهم عزيزاً منيعاً قائماً؟!

فكيف يرکن العاقل إلى أولئك الأئمة الذين هم من تلك  
الطبقة البشرية التي تدنس الأرض بفسادهم وفجورهم،  
كيزيد الخمور والفجور الذي قتل ريحانة الرسول ومعه  
العترة كلهم، وأباح مدينة الرسول صلوات الله عليه، وهدم الكعبة  
المعظمة، فقد أخرج ابن سعد في طبقاته الكبرى عن عبد الله  
بن حنظلة غسيل الملائكة قال: والله ما خرجنا على يزيد  
حتى خفنا أن نرمي بحجارة من السماء، إنّ رجلاً ينكح  
الأمهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع

الصلاه، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليتُ الله فيه  
بلاءً حسناً<sup>(١)</sup>. وكيف ينقطعون إلى رجل استباح جيشه مدينة  
الرسول المنورة يفعل فيها ما يشاء، فعاث جيشه فيها فساداً،  
وقتل خيار الصحابة الذين لم يبايعوه، واستبيحت الفروج،  
وانتهكت المحارم، وحبلت النساء من سفاح.  
وكيف يدعى "أهل السنة والجماعة" بأنهم أتباع السنة  
النبويّة ويعتقدون بإمامية يزيد بن معاوية، يزيد الخمور  
والفحجور، والكفر والفسوق، الطليق ابن الطليق؟!  
ثم إن كلَّ من نظر في تاريخ المسلمين يعلم أنَّ الأمة لا  
ترزال في ذلٍّ وهو ان في زمن أكثر هؤلاء الخلفاء، وأقوال علماء  
أهل السنة تشهد بذلك وتصرّح به، ولو لم يكن في زمانهم إلا  
قتل الإمام الحسين عليه السلام لكتفى، كيف وقد أعلن بنو أميّة  
سب الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام على المنابر

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج: ٥ ص: ٦٦

قراة ستّين سنة، وُضربت الكعبة حتّى تهدمت حيطانها، وأبيحت المدينة ثلاثة أيام، فوقع فيها من المخازي ما يندى له جبين التاريخ. فإنّهم كانوا يقتلون كلّ من وجدهوه من الناس، وكانوا يسلبون كلّ ما وقع تحت أيديهم من الأموال، ووقعوا على النساء حتّى قيل: إنّه حبّلت ألف امرأة من أهل المدينة من غير زوج. وقتل من وجوه المهاجرين والأنصار سبعمائة، ومن سائر الناس عشرة آلاف، ولما دخل مسلم بن عقبة المدينة دعا الناس للبيعة على أنّهم عبيد وخدّم ليزيد بن معاوية، يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء<sup>(١)</sup> إلى غير ذلك مما يطول ذكره.

وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء: لو لم يكن من مساوى عبد الملك إلّا الحجاج وتوليته إيّاه على المسلمين وعلى

---

(١) راجع البداية والنهاية لابن كثير ج ٨: ص ٢٢٤، ولسان الميزان لابن حجر ج ٦: ص ٢٩٤

الصحاباة، يهينهم ويذلّهم قتلاً وضرباً وشتماً وحبساً، وقد قتل من الصحابه وأكابر التابعين ما لا يُحصى فضلاً عن غيرهم، وختم على عنق أنس وغيره من الصحابة ختماً، يرید بذلك ذلّهم، فلا رحمه الله ولا عفا عنه<sup>(١)</sup>.

وقال الذهبي في كتابه العبر: قال عمر بن عبد العزيز: الوليد بالشام، والحجّاج بالعراق، وقرة (بن شريك) بمصر، وعثمان بن حبان بالحجّاز، امتلأت والله الأرض جوراً<sup>(٢)</sup>. فهل كان الإسلام عزيزاً وفي ازدياد؟! وهل كان الناس عامّة والمؤمنون خاصة في عزٍّ وكراهة، أم في ذلٍّ ومهانة؟ الأمر معلوم واضح، ولا ينكر ذلك إلا مكابر أو جاهل أو متعصّب. ويكفي قول سفينة المتقدم فيهم لـما سأله سعيد

(١) انظر تاريخ الخلفاء: ص ١٧٦

(٢) انظر العبر في خبر من غبر ج ١: ص ٨٥

فقال: إنّ بني أميّة يزعمون أنّ الخلافة فيهم، قال: كذبوا بنو الزرقاء، بل هم ملوك من شرّ الملوك<sup>(١)</sup>.

ثم إنّ معاوية معلوم الحال ومشهور من أفعاله، وحسبك ما أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الرحمن بن عبد ربّ الكعبة في حديث طويل قال: فقلت له - أي عبد الله بن عمرو بن العاص - : هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بينما نحن بالباطل ونقتل أنفسنا، والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِحْمَارَةً عَنْ تَرَاضِيْكُمْ وَلَا تَقْسِّلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَّحِيمًا﴾، قال: فسكت ساعة، ثم قال: أطعه في طاعة الله، واعصه في معصية الله<sup>(٢)</sup>.

---

(١) انظر سنن الترمذى ج ٣: ص ٣٤١

(٢) انظر صحيح مسلم ج ٦: ص ١٨ كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأخير

وأخرج الحاكم وصحّحه على شرط الشيختين عن عبادة بن الصامت، آنه قام قائماً في وسط دار عثمان بن عفان، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ محمداً أبا القاسم يقول: «سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصى الله، فلا تعتبوا أنفسكم»، فوالذي نفسي بيده إنّ معاوية من أولئك، فما راجعه عثمان حرفاً واحداً<sup>(١)</sup>.

ثم إنّ إخبار النبي ﷺ بهؤلاء الخلفاء إنّما كان لفائدة عظيمة وغاية مهمّة ي يريد النبي ﷺ إيضاً صاحبها للأمة وهي مبادعة هؤلاء الخلفاء ومتابعتهم والأخذ بهديهم دون غيرهم منّ لم يكن بهذه الصفة.

وعليه، فلو صحّ هذا القول لما كان ثمة أيّ فائدة في بيان وجود اثني عشر خليفة يعملون بالحقّ في جميع مدة الإسلام

---

(١) انظر المستدرك على الصحيحين ج ٣: ص ٣٥٧

إلى يوم القيمة وإن لم تتوال أيامهم، فكل خليفة يتولى أمور الناس لا يعلم أنه منهم أم لا، فلا يدرى هل يباع ويتابع أم لا. ولا فائدة في ذكر العدد المجرد القابل للانطباق على كل واحد يتولى أمر الأمة إذا لم يتميز هؤلاء الخلفاء بأعيانهم وأشخاصهم بحيث لا يدخل فيهم غيرهم.

وقال ابن الجوزي إن النبي ﷺ أشار إلى ما يكون بعده وبعد أصحابه، وأن حكم أصحابه مرتب بحكمه، فأخبر عن الولايات الواقعة بعدهم، فكانه أشار بذلك إلى عدد الخلفاء منبني أمية، وكأن قوله: (لا يزال الدين) أي الولاية إلى أن يلى اثنا عشر خليفة، ثم يتقل إلى صفة أخرى أشد من الأولى، وأول بنى أمية يزيد بن معاوية، وآخرهم مروان الحمار، وعدّهم ثلاثة عشر، ولا يعدّ عثمان ومعاوية ولا ابن الزبير، لكونهم صحابة، فإذا أسقطنا مروان بن الحكم لاختلافه في صحبته أو لأنّه كان متغلباً بعد أن اجتمع الناس على ابن الزبير صحت العدّة، وعند خروج

الخلافة من بنى أمية وقعت الفتن العظيمة والملامح الكثيرة حتى استقرّت دولة بنى العباس، فتغيّرت الأحوال عما كانت عليه تغيّراً بيّناً...<sup>(١)</sup>.

أقول: لا يخفى ضعف هذا القول ورثاكته، فإنّ أحاديث الخلفاء الاثني عشر وردت بلسان المدح لهم والبشاره بهم، ووصفتهم بأنّ الإسلام بهم يكون عزيزاً منيعاً قائماً، وقد تقدّم مفصلاً أنّ حال هؤلاء ليس كذلك، ومنه يتضح أنّ هذه الأحاديث أجنبية عن أولئك الخلفاء وبعيدة كلّ البعد عنهم. قوله: إنّ حكم أصحاب النبي ﷺ مرتب بحكمه في هذا الأمر لا تدلّ عليه هذه الأحاديث ولا غيرها.

والعجب في المقام أنّه جعل أحاديث الخلفاء الاثني عشر مقصورة على بنى أمية خاصة، مع أنها جاءت مادحة للاثني عشر مبشرة بهم، وغفل عن الأحاديث الصحيحة الأخرى

---

(١) انظر فتح الباري ج ١٣: ص ١٨١ نقلًا عن ابن الجوزي

التي دلت على ذم بنى أمية وبني أبي العاص بأشد ما يكون الذم، وهي كثيرة جدًا، منها: ما دل على أن النبي ﷺ ساءه ملك بنى أمية، فقد أخرج الترمذى في السنن والسيوطى فى الدر المنشور وغيرهما أن النبي ﷺ رأى بنى أمية على منبره فساءه ذلك، فنزلت ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْنَ﴾ ... ونزلت ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ... لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يملكونها بنو أمية يا محمد، قال القاسم: فعدناها فإذا هي ألف شهر لا يزيد يوم ولا ينقص <sup>(١)</sup>.

وأخرج الهيثمي في مجمع الزوائد، والحاكم في المستدرك وصححه، وابن حجر في المطالب العالية والبوصيري في ختصر الإتحاف وابن كثير في البداية والنهاية، وغيرهم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ رأى في منامه كأنّ بنى الحكم

(١) انظر سنن الترمذى ج ٥: ص ٤٤٥، والدر المنشور ج ٨: ص ٥٩٦، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٦: ص ٢٤٨

ينزون على منبره وينزلون، فأصبح كالمتغىظ، فقال: «ما لي رأيت بنى الحكم ينزلون على منبري نزو القردة؟» قال: فما رؤي رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً بعد ذلك حتى مات ﷺ<sup>(١)</sup>.

وأخرج السيوطي بسنده عن ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن سعيد بن المسيب، قال: رأى رسول الله ﷺ بنى أمية على المنابر فسأله ذلك، فأوحى الله إليه: «إنما هي دنيا أُعطيوها»، فقررت عينه، وهي قوله ﴿وَمَا جَعَنَا الرُّؤْيَا إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ يعني بلاء<sup>(٢)</sup>. ومنها: ما دلّ على أنّ بنى أمية أبغض الناس إلى

(١) انظر مجمع الزوائد ج ٥: ص ٢٤٣، والمستدرك على الصحيحين ج ٤: ص ٤٨٠، والمطالب العالية ج ٤: ص ٣٣٢، ومختصر إتحاف سادة المتقين ج ١٠: ص ٥٠٥، والبداية والنهاية ج ٦: ص ٢٤٨

(٢) انظر الدر المنشور ج ٣: ص ٤٨١، والبداية والنهاية ج ٦: ص ٢٤٨، وتاريخ بغداد ج ٩: ص ٤٤، والمعجم الكبير ج ٢: ص ٩٢

النبي ﷺ، فقد أخرج الهيثمي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، والبوصيري وحسنه، عن أبي برزه الأسّمي، قال: كان أبغض الأحياء إلى رسول الله ﷺ بنو أميّة وبنو حنيفة وثقيف<sup>(١)</sup>.

ومنها: ما دلّ على سوء فعلمهم وعظم ضررهم إذا كثروا عددهم، فقد أخرج الحاكم والبوصيري وحسنه والهيثمي والبيهقي وابن حجر عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثة رجالاً اخْنَدوا مال الله دُولًا، ودين الله دَعَالًا، وعباد الله خَوَالًا»<sup>(٢)</sup>. وفي

---

(١) انظر المستدرك على الصحيحين ج٤: ص٤٨١، ووافقه الذهبي في الهامش، ومختصر إتحاف السادة المتّقين ج٩: ص٢٠٢، ومجمع الزوائد ج١٠: ص٧١

(٢) انظر المستدرك على الصحيحين ج٤: ص٤٨٠، ومجمع الزوائد ج٥: ص٢٤٣، ودلائل النبوة ج٦: ص٥٠٧، مختصر أتحاف السادة المتّقين ج١٠: ص٥٠٥، والمطالب العالية ج٤: ص٣٣٢، والبداية



روایه أخر جها الحاکم قال: «إذا بلغت بنو أمیة  
أربعین...»<sup>(۱)</sup>.

ومنها: ما دلّ على أنّ النبی ﷺ لعن بعض هؤلاء  
الخلفاء وهم فی الأصلاب، ومن ذلك ما أخر جحاکم  
وصحّحه ووافقه الذهبی عن عبد الله بن الزبیر، أنّ رسول  
الله ﷺ لعن الحکم وولده<sup>(۲)</sup>. وأخرج الحاکم وصحّحه عن  
عمرو بن مرّة الجھنی وكانت له صحبة أنّ الحکم بن أبي  
العاص استأذن على النبی ﷺ، فعرف النبی ﷺ صوته  
وكلامه، فقال: «ايدنوا له، عليه لعنة الله وعلى من يخرج من  
صلبه إلّا المؤمن منهم، وقليل ما هم، يشرفون في الدنيا،  
ويضعون في الآخرة، ذو مكر وخديعة، يعطون في الدنيا،



والنهاية ج ٦: ص ٢٤٨

(۱) انظر المستدرک ج ٤: ص ٣٧٩

(۲) انظر المستدرک على الصحيحین ج ٤: ص ٤٨١

وَمَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ»<sup>(١)</sup>.

ومنها: ما دلّ على أنّ بعضهم أشرّ على هذه الأّمة من فرعون لقومه، وهو الوليد بن عبد الملك، أو الوليد بن يزيد، فقد أخرج أحمد في المسند، والهيثمي في مجمع الزوائد عن عمر، قال: ولد لأخي أم سلمه زوج رسول الله ﷺ غلام فسمّوه الوليد، فقال النبي ﷺ: «سَمِّيَتُوهُ بِأَسْمَاءِ فَرَاعِتُكُمْ؟ لِيَكُونَنَّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْوَلِيدُ، هُوَ أَشَرٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ فَرَعَوْنَ لِقَوْمِهِ»<sup>(٢)</sup>. قال ابن كثير: قال أبو عمر الأوزاعي: كان الناس يرون أنه الوليد بن عبد الملك، ثم رأينا أنه الوليد بن يزيد، لفتنة الناس به حتى خرجوا عليه فقتلوه، وانفتحت على الأّمة الفتنة والهرج<sup>(٣)</sup>.

---

(١) انظر المستدرك على الصحيحين ج ٤: ص ٤٨١

(٢) مسنـد أـحمد بن حـنـبل ج ١: ص ١٨، وـمـجمـعـ الزـوـائـدـ ج ٥: ص ٢٤٠

(٣) الـبـداـيـةـ وـالـنـهـاـيـةـ ج ٦: ص ٢٤٧

أقول: سواء أكان هذا أم ذاك فكلاهما من الخلفاء الاثني عشر عندهم، فيكون واحد من هؤلاء الخلفاء أشر على هذه الأئمة من فرعون.

ومنها: ما دل على أن بعضهم جبارة.

ومن ذلك ما أخر جه الهيثمي وابن كثير وغيرهما عن ابن وهب - في حديث - قال: وذكر مروان حاجة له - أى لمعاوية - فرد مروان عبد الملك إلى معاوية، فكلمه فيها، فلما أذرب عبد الملك قال معاوية لابن عباس (وكان جالساً معه على سريره): أنشدك بالله يا ابن عباس، أما تعلم أن رسول الله ﷺ ذكر هذا، فقال: «أبو الجبار الأربعة؟» فقال ابن عباس: اللهم نعم<sup>(١)</sup>.

أقول: الجبار الأربعة هم أولاد عبد الملك، وهم: الوليد وسليمان ويزيد وهشام، وهم من الخلفاء الاثني عشر

---

(١) مجمع الزوائد ج ٥: ص ٢٤٣، والبداية والنهاية ج ٦: ص ٢٤٧

عندhem، فتدبرّ.

فهل يصحّ بعد النظر في هذه الأحاديث الصحيحة  
وغيرها أن يقال: إنَّ النَّبِيَّ ﷺ بْشَرٌ بِهُؤُلَاءِ الْمُلُوكِ مِنْ بَنِي  
أُمَّةٍ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الدِّينَ بِهِمْ يَكُونُ عَزِيزًا مِنْيَا صَالِحًا؟  
ثُمَّ إِنَّ الْخَطَابِيَّ أَخْرَجَ مُروَانَ بْنَ الْحَكْمَ مِنْ عَدَادِ هُؤُلَاءِ  
الاثْنَيْ عَشَرَ لِلَاخْتِلَافِ فِي صَحْبَتِهِ، مَعَ أَنَّ أَقْوَالَ عُلَمَاءِ أَهْلِ  
السَّنَّةِ تَنْصُّ عَلَى عَدَمِ صَحْبَتِهِ، قَالَ الْبَخَارِيُّ: لَمْ يَرَ  
النَّبِيَّ ﷺ <sup>(١)</sup>. وَقَالَ ابْنُ حَجْرٍ: رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا  
يَصِحُّ لَهُ مِنْهُ سَمَاعٌ <sup>(٢)</sup>. وَقَالَ أَيْضًا: لَمْ أَرَ مِنْ جُزْمٍ بِصَحْبَتِهِ <sup>(٣)</sup>.  
وَقَالَ الْذَّهَبِيُّ: لَمْ يَرَ النَّبِيَّ ﷺ، لَأَنَّهُ خَرَجَ مَعَ أَبِيهِ وَهُوَ

---

(١) انظر ميزان الاعتلال للذهبي ج ٤: ص ٨٩

(٢) انظر تهذيب التهذيب ج ١٠: ص ٨٣

(٣) انظر الإصابة ج ٣: ص ٤٧٧

طفل<sup>(١)</sup>. وقال النwoوي: لم يسمع النبي ﷺ ولا رأه، لأنّه خرج إلى الطائف طفلاً لا يعقل حين نفى النبي ﷺ أباه الحكم، فكان مع أبيه بالطائف حتّى استخلف عثمان فردهما<sup>(٢)</sup>. وكذلك قال ابن الأثير في أسد الغابة وابن عبد البر في الاستيعاب وغيرهما<sup>(٣)</sup>.

ثم إنّ لازم إخراج مروان من عدّة هؤلاء الخلفاء لتغلّبه وإخراج كلّ خلفاء بني أميّة معه، لأنّ خلافتهم كانت بالتغلّب والقهر أيضًا كما هو معلوم.

على أننا إذا أخرجنا مروان من العدّة فلا بدّ أن ندخل إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ليتم العدد، مع أنّ إبراهيم هذا تولّ الملك سبعين ليلة، ثم خلع نفسه وسلم الأمر إلى

---

(١) التجريد ج ٢: ص ١٩

(٢) تهذيب الأسماء اللغات ج ٢: ص ٨٧

(٣) انظر أسد الغابة ج ٤: ص ٣٨٢، والاستيعاب ج ٣: ص ٤٢٥

مروان بن محمد وبابعه طائعاً<sup>(١)</sup>. قوله: (وَعِنْ خَرْوَجِ  
الخِلْفَةِ مِنْ بَنِي أُمَّةٍ وَقَعَتِ الْفَتْنَ الْعَظِيمَه...) إِلَى آخِرِ ما  
قَالَهُ، يَفْسُدُهُ أَنَّ مَا وَقَعَتْ مِنْ الْحَوَادِثِ وَالْفَتْنَ فِي زَمْنِ  
هُؤُلَاءِ الْخَلْفَاءِ مِنْ بَنِي أُمَّةٍ أَعْظَمُ وَأَشَدُّ مِنْ الْفَتْنَ الْوَاقِعَةِ  
فِي زَمْنِ جَمْلَهُ مِنْ خَلْفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ كَالْمُصْوَرِ وَالْمَهْدِيِّ  
وَالْهَادِيِّ وَهَارُونَ وَالْمَأْمُونِ وَالْمَعْتَصِمِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ مَعْلُومٌ.  
وَالْتَّيْجَةُ أَنَّ الْإِنْسَانَ الْحَرَّ الْفَارَغُ عَنْ كُلِّ رَأِيٍّ مَسْبِقٍ لِوَ  
أَمْنِ النَّظرِ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَأَمْنِنُ فِي تَارِيخِ الْأَئِمَّةِ الْأَثَنِيِّ  
عَشْرَ مِنْ وَلَدِ الرَّسُولِ ﷺ، يَقْفَ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ لَا  
تَرُومُ غَيْرَهُمْ، فَإِنَّهَا تَدْلِي عَلَى إِمَامَةِ الْأَئِمَّةِ الْأَثَنِيَّةِ عَشْرَ مِنْ أَهْلِ  
الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، إِذَا لَا تَوْجَدُ هَذِهِ الْخَصْوَصِيَّاتِ فِي الْأَمَّةِ  
الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَّا فِي أَئِمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الْأَثَنِيَّ عَشْرَ الْمَعْرُوفِينَ  
عِنْدَ الْفَرِيقَيْنِ.

---

(١) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطى: ص ٢٠٤

## المحتويات

### المقدمة

٩ .....	معنى العبادة .....
١٣ .....	الفرق بين العبادة والطاعة .....
	<b>زيارة القبور</b>

١٦ .....	أولاً: القرآن الكريم .....
٣٠ .....	ثانياً: السنة النبوية .....
٣٣ .....	استحباب زيارة قبر النبي ﷺ .....
	<b>التوسل بالعظماء والأولياء على ضوء الآيات</b>

### القرآنية والروايات الإسلامية

٣٧ .....	تمهيد .....
٤٣ .....	التوسل والاستغاثة في القرآن والروايات .....
٥١ .....	الروايات الواردة في باب التوسل والاستغاثة .....
٦٤ .....	المذهب الحنفي .....

المذهب المالكيٰ	٦٥
المذهب الشافعيٰ	٦٥
المذهب الحنفيٰ	٦٦
دين علماء المسلمين التوسل بالنبي ﷺ	٦٧
تعظيم قبور الصالحين والتبرّك بها والمكت عندها	٧٢

### **سيرة المسلمين في التبرّك**

أولاً	٧٦
الروايات الواردة في باب التبرّك بالأحياء	٧٨
تبرّكهم بجسده الشريف ﷺ	٨٢
تبرّكهم بشعره ﷺ	٨٢
تبرّكهم بعرقه ﷺ	٨٤
تبرّكهم بماء وضوئه ﷺ	٨٥
ثانياً	٩١
التبرّك بالشرب من قدحه ﷺ	٩٤
تبرّكهم بمواضع يده وفمه ﷺ	٩٦

٩٨ .....	تبرّكهم بعصاه وملابسه وخاتمه ﷺ
١٠٣ .....	التبرّك بمنبره ﷺ
١٠٦ .....	تبرّكهم بقبره الشريف ﷺ
١١٥ .....	تبرّك الصحابة بأماكن صلى فيها النبي ﷺ .....
١٢٢ .....	التبرّك بالصحابة والصالحين .....
١٢٤ .....	ومن أمثلة تبرّك الصحابة ببعضهم وتبرّك التابعين بهم
١٣٢ .....	التبرّك بقبور الصالحين وأثارهم .....
١٣٢ .....	١- بلاط الحبشي .....
١٣٢ .....	٢- أبو أيوب الأنصاري .....
١٣٣ .....	٣- صهيب الرومي .....
١٣٣ .....	٤- مزة بن عبد المطلب .....
١٣٤ .....	٥- الحسين بن علي علية السلام .....
١٣٥ .....	٦- عمر بن عبد العزيز، الخليفة الأموي .....
١٣٦ .....	٧- علي بن موسى الرضا علية السلام .....
١٣٧ .....	٨- قال العلامة أحمد بن محمد المقرى المالكي .....

قال القاضي عياض المالكي في الشفاء ..... ١٣٨
التبرّك عند أهل البيت علیهم السلام ..... ١٤٧
تبرّكهم بقبر النبي صعلیه السلام ..... ١٤٧
تبرّكهم بأثار بعضهم علیهم السلام ..... ١٥٠
التبرّك والاستشفاء بتربة الحسين علیه السلام ..... ١٥١
التبرّك بكسوة الكعبة ..... ١٥٩

### **السجود على التربة الحسينية**

المقدمة الأولى: مشروعية السجود على التربة ..... ١٦٣
المقدمة الثانية: ما سجد عليه الصحابة ..... ١٦٧
المقدمة الثالثة: السيرة النبوية فيما سجد عليه علیه السلام ..... ١٧٧
المقدمة الرابعة: سيرة الصحابة والتابعين ..... ١٨٤
المقدمة الخامسة: ما سجد عليه أهل البيت علیهم السلام ..... ١٨٩
لماذا تسجد الشيعة على التربة الحسينية؟ ..... ١٩١
فضل التربة الحسينية: ..... ١٩٩
التربة الحسينية في كلام أهل البيت علیهم السلام ..... ٢٠٣

ثانياً: الالتزام بالسجود على التربة الحسينية .....	٢٠٦
ثالثاً: السير في تقبيل الشيعة للتربة الحسينية.....	٢٠٧
رابعاً: حكم السجود على التربة الحسينية .....	٢١١
خامساً: آثار وفوائد التربة الحسينية والسباحة عليها ..	٢١٤
١- شفاء من كُل داء، وأمان من كُل خوف .....	٢١٤
٢- اخذاها مسبحة.....	٢١٧
٣- السجود عليها يخرق الحُجب السبعة .....	٢١٨

### **النص على الأئمة الاثني عشر**

ما ورد من ذلك في كتب العامة .....	٢٢٠
تحقيق الخلفاء الاثني عشر في أئمّة الشيعة علیهم السلام .....	٢٢٦
اختلاف أهل السنة في الخلفاء الاثني عشر والنقض على تخيّطهم .....	٢٤٣
المحتويات .....	٢٧٦